محمد نور الدين

البعض يفعل هذا

قصص قصيرة

« البعض يفعـل هـذا » *

تلفت حوله .. فى كل الاتجاهات .. راح يقذف بعينيه فى كل الطرقات المقبلة .. لم تلتصق بأحد .. لوح بعينيه فى عيون المنازل المحيطة به .. وجدها مغمضة .. تشبه النوافذ الموصدة .. تأكد من أن احدا لا يتابعه .. خلع فردتى حذائه .. ربطهما برباطيهما ربطة جيدة .. علقهما حول رقبته .. تركهما تتدليان فوق صدره باتزان .. تحسسهما بسعادة .. همس لنفسه فى مرح (تماما كأوسمة كبار الضباط) .. رفع يديه متلمســا طريقا الى تلك النافذة الصــغيرة المغروسة بكراهية فى الطابق الثانى .. احتضن ماسورة المجـــارى الصاعدة اليها .. اخذ يتسلق .. أوشكت احدى قدميه أن تسقط منه بينما كان يحاول دفع ضلفتى النافذة عدة دفعــات ليفتحها .. استطاع ان يتشبث باطارها الخشبى القديم فى اللحظة الأخيرة .. اضطربت أنفاسه أكثر عندما سمع سعال أقــدام مقبلة .. كانت تقترب منه وتخدش أمله فى الدخول الى داخل الشقة عبر النافذة .. خلف السعال .. اضمحلت الأصوات وتلاشت .. تنفس كالمعتاد .. فتحت النافذة .. استطاع أن يتسرب من خلال فتحتها الضيقة ..

---

* نشرت بجريدة الخليج ــ أكتوبر ١٩٨٨

جمع كل أعضائه من جديد داخل حمـام الشقة ٠. فوق صـدره اللاهث ترتد فردتا الحذاء مضطربتين خائفتين .. ثبت مكانه لحظة يسترق السمع لما يدور فى الشقة .. اطمأن الى أن الصمت وحده هو الذى يتملك كل فراغات الشقة .. عالج باب الحمام بهـدوء حتى لا يصدر عنه أى صرير يدمى هذا السكون الهائل .. تسلل داخل الشقة ٠. اجتاز تلك الأضواء الخافتة التى تسد الفراغات وتعـلق بالجدران .. فتح احد الأبواب .. دلف الى المطبخ .. وقف برهة يصيخ السمع .. توجه الى الثلاجـة ٠. فتحهـا .. أخرج منها بعض الأطعمـة .. التهمها بسرعة .. أسرع بعـدها عائدا الى الحمام .. توجه الى النافذة ٠. أغلقها .. استدار الى الصنبور .. غسل يديه .. خرج من الحمام من جديد .. انتصب واقفا وسـط الشقة يتلفت حوله للحظات .. اختار حجرة بذاتها ٠. أخذ يخطو خطوات بطيئة .. فوق اطراف أصابع قدميه .. كانت أذناه رادارين مشرعين .. ترصدان كل حركة أو صوت يتململ أو ينهض من بين ركام الصمت ٠. اقترب من باب الغرفة .. بحذر شديد فتحها .. وقف للحظات يرمق كل من فيها .. كانت حجرة النوم .. تأكد من أن المرأة تغط فى نوم عميق .. استقرت أنفاســه بعض الشىء فى رئتيه .. دلف الى داخل الحجرة ٠. توجه الى صوان الملابس .. بخفة وبحرص فتح احد ضلفتيه .. كان يتابع بعينيه المرأة النائمة وهمس خائفـا (لو استيقظت ستملأ ليل الجـيران صراخا) .. واصلت أصابعه المدربة تبحث بين الأرفف .. خرجت يده قابضة على (بيجامة) نوم ٠. خـلع ملابسـه بسرعة البرق .. ارتدى

(البيجامة) راح يزحف نحو السرير التى ترقد عليه المرأة .. قبض على انفاسه بعنف حتى لاتفضحه .. تمدد بحذر شديد فوق السرير بجوار زوجته .. همس لنفسه منتصرا (الحمد لله ، لم تشعر زوجتى بعودتى متأخرا .. والا كانت مزقت مساء الحى كله بالصراخ كعادتها) تثاءب بارتياح .. ثم غرق فى نوم عميق .

تمـــت

« رحلة ابن بطوطة الأخيرة من مصر الى الفجيرة » *

فى أواخر القرن العشرين من هذا العصر ، وبينما كنت أتجول فى أرض الكنانة مصر ، ترامت الى اسماعى اخبار عن شاب يهوى متعة الأسفار ، ويمتطى صهوة الأخطار ، يدعى الشاطر ابو الانوار .

ركضت اليه ، وسلمت عليه ، وسألته عن صدق الاشاعة ، فرحب بى اعظم ترحيب ، ولقبنى بجده الحبيب ، واكد لى صحة ما يقال ، وانه سيصحب معه الزوجة والعيال ، وسيقطع بأمر الله آلاف الأميال ، ويمر بأماكن ما وصل اليها الخيال .

صحت فى لهفة وبهجة : لقد أججت فى روحى الرغبة .. لكى اعيد الكرة .. وأطوف ببلادى العربية ولو مرة .. واعدك بأنى لن اثقل عليك .. فلم يعد لى من جسد يشرب أو يأكل .. فلقد صرت روحا لم تعد تحفل .

وما إن اذن المؤذن لصلاة الفجر ، حتى أقمنا الصلاة ، وختمنا بالدعاء ، وودعنا الأهل بالدمع والبكاء ، وانطلق الحفيد بسيارته التى تحملنى انا وأسرته ، وكان الضباب يخنق أنفاس الطريق ،

---

* نشرت بجريدة البيان — ديسمبر ١٩٨٨

ويحجب عن السائق اى شعاع أو بريق ، ولمحت زوجته الرزان وجلة تتمتم بالقرآن ، فهمست فى أذنه دون أن يلحظنى بشر : أما كان لك التمهل وتأجيل السفر .. حتى ينقشع الضباب ويزول الخطر ؟!!

فهمس فى قلق وتجلد : كنت اتمنى يا صاحب الذكر المخلد .. لكن الوقت على التذاكر محدد .. واذا لم أصل الى نويبع فى الموعد فسوف تتركنى العبارة وتبعد !!

فسألت واستفسرت : وما نويبع يا طويل العمر ؟

قال : هى يا جدى مجرد ثغر .. أنشأناه على خليج العقبة .. حتى لا تكون بين مصر وشقيقاتها فى المشرق اى عقبة .

شملتنى السعادة والهناء فرفعت يدى بالدعاء : قرب الله بين الأشقاء .. وابعد عنهم كل جفاء .. ولكن .. الم يكن طريق غزة الى المشرق اجدر ؟ .. بدلا من مخاطر قد تواجهك وأنت تبحر ؟ !!

لوى راسه بعيدا عنى فى خجل — وبعد تردد — قال فى عجل : ان احفادك يفضلون ركوب البحر بالسيارات ، وسترى كم هو ممتع ركوب العبارات .

وما أن خف وتطاير الضباب ، حتى رأيت بحرا ما له عباب فسألت باستغراب : أو يكون ذلك بحر القلزم ؟!

فرد فى فخر وتبسم : هذه قناة حفرناها بالأظافر والأيادى ، ففصلنا سيناء الحبيبة عن تراب الوادى .. حتى نصل بحر القلزم ببحر الروم خدمة للأصدقاء والأعادى .

دهشت وسألت : وكيف سنصل الى الشاطىء الآخر ورمله ؟

فأجاب والابتسامة تملأ ثغره : سنمر فى نفق عظيم يرفــع القنــاة فــوق ظهــره .

وبعد دقائق من الصمت والتفكير .. اقتربنا من فم النفــق الخطير .. فابتلعنا فى جوفه كثعبان كبير لم اشهد له فى البرية من نظير .. ووضعنا فوق سيناء فى أمــان .. فاحتوتنى الدهشــة وهتفت : ما شاء الله كان .. وسبحان من علم الانسان !! .. ولكن منذ متى يا حفيدى وصلتم .. بين بحر الروم وبحر القلزم ؟

بعد صمت أجاب بامتعاض وشجن : منذ .. فترة يا جدى من الزمن .. ولكن .. ارجوك جدى الهمام .. دعنى اتابع الطريق باهتمام .. واعب الشاى .. والتهم الطعام ..

فقلت له فى أسف وحياء : كل بالهناء والشفاء .. فأنت مقدم على تعب وشقاء .

ورأيته يضغط باصبعه على زر عجيب .. فانفجر صوت غناء غريب .. لم ارتح اليه .. ولكننى وجدتــه بالا اثقل عليــه .. فتحاملت على نفسى باقتدار ، وشرع يهز راسه فى نشوة وانبهار .. وتراءت لنا سيناء من جبال وقفار ، وسهول واسعة بلا أنهــار ، والطريق يعلو ويهبط ، ويميل مرة الى اليمين واخرى الى اليسـار .. حتى أفزعنى ذلك المؤشر فى سيارتهم الدافئــة .. فقد تجــاوز الثلاثين بعد المائة .. فهمست له فى رجاء : تمهل يا حفيد العقلاء ، فالسرعة لم تزل نهــج الســفهاء .

فنفخ متوترا فى تحد : تمهل انت يا جدى .. فموعد العبـارة قد دنا .. وليس لى من حيلة انا .. فاذا لم ألحق بهـا الليـلة ، سأبيت فى نويبع ليلة .

فدعوت له رب المشارق والمغارب ان يوصله نويبع فى الوقت المناسب .. واستمر كالريح العاصف منطلقا ، ولأقطار الزمـان مخترقا .. غير حافل بما يحفنا من جمال الطبيعة ، ولا بمخلوقات الله البديعة ، حيث احتوتنا سهول من رمال صفراء كالذهب تبرق ، والسماء الصافية تنطبق عليها كطبق أزرق .. فتبـارك الله حين تغيب الشمس وحين تشرق .

وراح يتابع الطريق بمهارة .. حتى وصلنا نويبـع قبيـل موعد العبارة ، وقبل ان نستمتع بحلاوة الوصول .. صفعنا منظر غير معقول ، فلقد وجدنا أمامنا بدلا من السيارة أكثر من أربعمائة سيارة .. وتلقانا جندى ملأته شمس الظهر ضيقا ومرارة ، وصرخ فينا معطيا اشـارة بضرورة الوقـوف فى الصف : فلا تقـدم الى الامام .. ولا رجوع الى الخلف ، فلم يكن منا غير الطاعة والانقياد ، ورايت حفيدى يميل الى زوجته مداعبا فى غرور و وداد : ما رأيك . هل أحسـن السـياقة والقيـاد ؟

فردت عليه وقد هدها طول السهاد : ينبغى أن تشـكر الله رب العباد .. وادع له أن يوصلنا الفجيرة فى الميعاد .

فتراجع متأثرا فى ندامة : صدقت يا زوجتى المقدامة .. فكل خطوة يرجى لها الف سلامة .

وفتح زجاج السـيارة ، فتدفقت عليهم الحرارة ، ونزف من اجسادهم العرق ، وسيطر عليهم القلق ، فزاد عطشهم ، والتهب جسدهم ، وتألقت الشمس فى عناد تلهب بأشعتها أجساد العباد ، فتزايد الصراخ بين الصغار ، وتمكن الضيق من نفوس الكبـار ، فصرخت أنا فى ابى الأنوار : لماذا البقاء فى هذا العـذاب ؟!! .. ألم تمزق بناء جدران الضباب ، وتطر بسـيارتك فوق الوهـاد والهضاب .. حتى تصل الى العبارة ؟!!

فصاح فى ألم فظيع : لقد خدعنا يا جـدى الوديع .. شركة العبارات خدعت الجميع .. فبدلا من أن تحجز للعدد المناسب .. دفعهـا الطمـع لتحقيق اكبر المكاسـب دونمـا أكتراث لما يصيب المسـافرين من متـاعب .

فاضت روحى بالاستنكار ، ودعوت الواحد القهار أن يتغمد أصحاب الشركة بالنـار .

وما ان غربت شمس ذلك اليوم المشئوم ، وبكى فى سـماء الكون الهلال والنجوم ، حتى انساب فى الأوصال خدر النـوم ، واستمر هذا الحال لثلاث ليال ، حتى ندمت على مرافقتى لحفيدى فى رحلته ، وصارحته فى الحال ، فتعجب وقال : أو مثلك يا جدى من يقـول هـذا ؟!! .. يا من سحت فى البقـاع ، وكتبت عن الأصقاع .. وهبطت الوديان .. واعتليت الجبال .. حتى صرت مفخـرة للأجيـال ؟!!

فأجبت : نعـم .. انا فى بلاد الله طفت .. وعن المعـــالم وعادات الناس كتبت .. ولكن .. لم اضيع ساعة فى الانتظار .. واستمتعت بكل دقيقة فى الأسفار .. ولكنم أضعتم ثلاثـة أيام وثلاث ليال دون أن . . .

وقاطعنى وقال : اسمع يا جدى .. هنـاك نداء ..

واذ به يرى السيارات تدخل الميناء ــ حيث العبارة ــ وضابط يقترب معطيا له اشارة ، فاطمأن على أطفاله النيام وزوجته ، ثم حرك بهدوء تام سيارته ، وحسبت انه سيركب العبارة فى الحال ، ولن يتعرض لأى سؤال ، لكنه اصطف بها ، وأخرج أوراقا ملأها ، وجاء رجال الشرطة عبثوا فى مقدمتها ومؤخرتها ، ثم أمروه بانزال العيال و « المدام » ، فتردد واعتذر بأنهم نيام ، فتهكموا وقالوا : دع عنك تصرف اللئـام .

فنزلت الزوجة نائمة تحمل طفلتها النائمة ، وأيقظ الآخرين بين بكاء وانين ، وما أن وقع المفتش بتمام الانتهاء ، حتى حثثته على الاسراع ، لمغادرة هذه الأنحاء ، لكنه ضحك وقال : هذا ضرب من الأحلام يا جـــدى الوديع ، فلم يزل هناك الف ورقـــة وختم وتوقيع ، الم تسمع عن أن للسفر جوازات ؟ .. وعن تصريح العمل والتأشيرات ؟ .. وعن « التريبتكت » والتأمينات ؟!!

فسألته وأنا مستغرب : ألست ــ يا حفيدى ــ من أبناء يعرب ؟

فأجاب : قلت الحق يا جدى الحبيب ولم تكذب .

سألت : والى بلاد أهلك العرب ستذهب ؟!!

قال : أجل .. ولكنها الاجراءات الضرورية .. حتى نحمى حدودنا الخارجية .. ونحافظ على أرضنا العربية .

فاستدركت بحس مشدود : لكن .. أرض الجدود تحفظ من العدو اللدو .. وليس من الابن المخلص الودود !!

فهمس خائفا وحوله متلفتا : على أى حال .. ها قد أنهينا كل المهام — ولم يعـد أمامنا غير التقـدم الى الامــام .. فلنركب السيارة .. ولندخــل العبــارة .

فاسترجعت فى الم — كالمطعون — : انا لله وانا اليه راجعون .

وبعد ساعات .. توقفت الســفينة المسماة بالعبــارة .. وخرجنا منها خروج اللصوص من المغارة ، فتلقفتنا أيادى رجــال الأمن والادارة ، وأنزلوا الصــغير ، وأنزلوا الكبير ، وتم بدقــة تفتيش السيارة ، واخرج ابو الأنوار جوازاته الخضراء ، ومرفق بها أوراقه البيضاء والصفراء ، وراح يهرول بين نافذة وأخــرى كأم اســماعيل ، والشمس تعصره عصر المراة للغســيل ، وعض الحر الأطفال فضجوا بالعويل ، فأحسست بالضيق من جديد لهذا الهراء ، وصرخت بغيظ فى وجهه عندما جاء : ما هذا التأخير والتكدير

فرد كأنه يبكى : ان الأمــر يا جدى ليس بيدينا .. انهــا اجراءات فرضت علينــا ..

سألته : ولماذا كل هذا العذاب والألم ؟ .. هل وصلنا الى بلاد العجم ؟ !!

فرد ضاحكا لسذاجتى : لا يا جدى .. اننا لم نزل ببلاد العرب خير الأمم .

ذهلت واسترجعت محتجا : ولماذا كل هذه القيود ؟!!

رد : حتى نطمئن على الحدود .. ونحافظ على أرض الجدود .

صرخت فيه وقد تملكنى الجنون : أو من أنفسكم تخافون .. وتحافظون ؟ !!

فابتسم وقال : ولم لا .. أما سمعت شاعرنا ((الأهطل)) الكبير يغنى ويقول :

طعنة الأجنبى تؤذى يوما وعتاب الشقيق يؤذى دوما

قتلتنى الدهشة فاسترحمت واسترجعت ثم عقد لسانى ، فما نطقت .. وانطلق هو بسيارته يسابق مقدم المساء ، بعد أن اشترى من العقبة الثلج والماء ، وصعدنا جبالا وطرقا مكسرة ، قال ان اسمها ((المدورة)) ، ومرت ساعات فى صمت وعزوف ، بعد أن تملكنى الحزن والخوف ، فلم يعد لى ميل الى معرفة أو رغبة فى وصف ، وايقنت أن الجهل بأمور أحفادى من كبير النعم ، بدلا من العلم الذى يجلب لى الهم والألم ، ولكنه توقف من جديد وقال : انها نهاية الحدود الأردنية .. وبعد لحظات ندخل السعودية .

واصطحب معه الجوازات ، وغاب عنا ساعات ، وعاد كالعادة يمزقه الضجر والضيق ، فلم اشأ أن أخدش صبره الرقيق ، فابتلعت اسئلة عديدة عن تلك المسميات الجديدة ، وخمنت أنها لولايات عربية وليـــدة .

ظللنا هكذا .. ما بين شروق الشمس وغيـــابها من جديد تعترضنا حدود مصطنعة من حديد ، واجراءات يشيب لها الوليد ، ورحت اتأمل أحوال الأحفاد ، وما أصابهم من فقدان الرشـــاد ، وكيف يمنحهم ربهم الحياة الواســعة والحرية ، فيرفضــونها ، ويتشبثون بقيود حديدية ، ولمع فى روحى ســؤال ، فنطقت به فى الحال : اذا كان هذا ما يفعله الشقيق مع الشقيق !! .. اذن كان الله فى عون القادمين من بلاد العجم .. لابد أنكم تجردون المساكين من ملابسهم ، وتفتشونهم من شعر الراس الى اخمص القدم ؟!!

امتنع عن الرد بغمغمة وضجر ، ثم هتف : ها قد أقتربنا من قطـــر .

ومثلما فعل بنا السابقون فعل بنا اللاحقون ، واســتدرت بوجهى بعيدا عن كل الصــور والمرئيــات الى أن سمعت صــوته مصحوبا بقهقهات : الله أكبر .. ها هى حدود الامارات .

فأفقت من شرودى وسألت : ولماذا كل هذه الفرحة الكبيرة ؟!!

صاح بارتياح وطمأنينة : انها يا جدى الحدود الأخـــيرة .. ومنها نصل الى الفجيرة .

ومال الى لأسمعه : ما رأيك يا جدى .. الم تكن رحلة ممتعة ؟

عن الكلام امسكت ، وبعمق اليه نظرت ، اتأمل مدى بلاهته ، واشعر بالرثاء لسذاجته ، ثم صرخت فى غضب : يا للعجب !! .. يا للعجب !! .. اية رحلة ؟! وأية متعة ؟! .. لقد ركبنا فيها حديد اللحود .. ولم نستمتع فيها بجمال الوجود .. واغتصبت كرامتنا عند كل حدود .. ولم نقف على أخبار العباد .. ولم نشاهد معـالم البلاد .. لعمرى انكم أحفاد مجـانين — مزقتم وطنكم وخالفتم الدين .. ولقد رأيت منكم ما ملأنى هما الى يوم الدين .. وساعود الى قبرى وانا على حالكم من الباكين سائلا الله — أنا وكل الموتى — ان يوحد بينكم اجمعين .. قل آمين .

فقـال : آمـين .

« شــــرف اخــتى »

قبل أن يدفع « خميس البلطجى » باب المنزل محطما اياه بكعب حذائه الضخم بشراسة ذئب ، استل خنجره الذى يخبئه بشكل دائم تحت ملابسه ، ونزع عنه غمده ، ثم اقتحم الحجـرة الأولى رافعا عقيرته بالتهديد والوعيد : أين أنت يا جبــان ؟ .. اين انت يا فرج يا جبان ؟

ولم يجبه أحد .. راح يتنقل من حجـرة الى اخرى بخفـة وحذر فهد .. اقتحم حجرة نوم بها سرير حديدى صدىء .. تقدم اليه .. لم يكن هناك غير قطة سوداء ترقـد مكان صــاحبها .. اهملها وانحنى متطلعا تحت السرير وهو يزار بالسباب مما أفزع القطة فوثبت خائفة واحتكت بمؤخرته فانتفض واقفا مذعورا وهو يلعن القطة وصاحب القطة .. ولم تسمعه القطة التى تلقفها الشارع فى الحال ، ولا حتى صاحب القطة الذى هرب قبلها منذ ما يقرب من ساعة عندما جاء من اخبره محذرا بأن « خميس البلطجى » اخــا حميدة التى يحبها ويتجول معها فى نزهات بريئة بين الحقـول فى الليالى المقمرة ، قد علم بأمرهما ، وانه الآن ينهال عليها ضربا بصورة

---

* نشرت بمجلة المنتدى — العدد ٦٨ — مارس ١٩٨٩

خلت من الرحمة حتى أوشك على قتلها بين يديه لولا أن أمه حالت بينه وبين اخته فاردة زراعيها متعرضة له ومتوسلة اليه بأن يترك أخته لأنها لم تخطىء .. فهى لم تزل صغيرة بعد لم تتجاوز السادسة عشر .. وأن المخطىء الحقيقى هو فرج لأنه رجل كبير وسبق له الزواج من امراة أخرى طلقها لأنها لم تنجب ، ولذا هو الذى استغل سذاجة جميدة .. ويجب ان يؤاخذ هو لا هى .

وعندما كل « خميس البلطجى » من البحث والتفتيش عن فرج فى كل مكان سواء داخل بينه أو فى طرقات القرية عاد الى بيته ومازال الشرر يتطاير من عينيه ليجد بيته مفتوحا ، وجمعا كبيرا من الناس يفترشون حصيرته وسط الدار .. ولح بينهم العمدة وبعض وجهاء القرية .. ولم يلق عليهم السلام عندما رأى بينهم فرج ، بل زاد تجهمه وانقلاب سحنته ، ونزع خنجره من غمده ، واستعد للوثب على فرج وسط هذا الجمع ، فنهض الجميع صائحين فى وجهه ، وحالوا بينه وبين فرج ، لكنه واصل زائيره بعصبية : لن اترك هذا الجبان قبل ان اقتله .. لابد أن أريح الناس من شر ملوث الأعراض .

وقف العمدة فى مواجهة « خميس البلطجى » ناهرا اياه بغضب ودهشة : سلامة عقلك يا خميس .. الرجل جاء الى بيتك لطلب الزواج من أختك على سنة الله ورسوله . . .

ولم يعر كلام العمدة اهتماما ، بل واصل زعيقه بتصميم : أذبحه أولا .. ثم نتكلم فى موضوع الزواج .

وزاد من تكاثف الحضور حوله محيطين به ، ومحاولين نزع الخنجر من يده ، وصاح فيه العمدة معنفا : أنت مجنون !! .. يوجد قانون .. هناك سجن واعدام للقاتل .

رد ((خميس البلطجى) عليه بتصميم كامل ونهائى : أذبحه ثم أسجن .. أو أعدم لا يهم .. ما دمت قد دافعت عن شرفى .. الشرف غال يا ناس .. الشرف غال يا حضرة العمدة ..

ثم يحاول التملص منهم والوثب على فرج الذى لاذ بالحائط وقد اترعت كل خلايا جسده بالفزع يكشف عنه ارتعـاش أطرفه وشفتيه ، وهذا الحجوظ فى مقلتيه ، وتوســلاته بكلمات مزقتهـا الرعب : هدىء من فسك يا عم خميس .. أنا خايف على صحتك .. كذب عليك من اخبرك .. لم يخبــرك بالحقيقة .. شرف أختـك حميدة هو شرفى .. انا اريدها زوجة على سنة الله ورسوله .

ويحدجه ((خميس البلطجى) بنظرات الغيظ والسخرية قائلا : تلوث شرفى .. ثم تخاف على صحتى !! .. يا جبــان .. لن اتركك حتى أقتلك .

ووسط تلك الدوائر البشرية المتلاصقة ، ومن بين الأصوات المتعالية المتضاربة وتلك الأنفاس المتلاحقة المســتعرة والأعصــاب المتوترة تمكنت امراة من التسرب عبر هذا الزحام وأوســع لهــا الناس عندما رأوا الدماء تســيل من بين شــفتيها المتورمتين .. بينما انحسر عنها غطاء رأسها وتبعثر شعرها مختلطا بالدم والتراب

وبدت للجميع كما لو كانت خارجة لتوها من قبرها .. اقتربت من
((خميس البلطجى)) الذى راعه منظرها .. ثم همست اليه فى اعياء
شديد : اهرب بجلدك يا خميس .. زوجى عرف أننا نخونه ..
وهو قادم ورائى بمسدسه ليقتلك و ....

لم ينتظرها ((خميس البلطجى)) لتكمل بقية كلماتها المتساقطة
بل سقط الخنجر من بين أصابعه المرتعشة ، وصرخ فى أجميع خائفا :
أوسعوا لى الطريق يا ناس !.. ((جمعة الجزار)) قادم لقتلى ..
ثم وثب فى خفة فهد من فوق الجميع .. مطلقا ساقيه للريح فى
ذعر وهلع .. بين دهشة الحضور وضحكاتهم المأسوية .

تمت

« ضـــائعة فى ســـوق الرولة » *

كان الأستاذ عبد الغنى ، المعلم باحدى مدارس الفجيرة ينطلق بسيارته الحمراء القديمة بغبطة ونشوة يعلن عنهما هــذا البشر الذى ينضح به وجهه ، ولكانه ود لو تشاركه زوجته وطنية الجالسة بجواره أحاسيس السعادة التى تعتمل بداخــله ، فهتف بصــوت مسموع : الحمد لله رب العالمين .. فبعد أن كلت أردافنا من ركوب الحمارة .. من الله علينا .. وتملكنا السيارة !!

التفتت اليه زوجته مبتسمة واكملت قائلة : حقا .. الحمــد لله .. لم يعــد ينقصـــنا أى شىء .. ولا نطلب من الله غير الصحة والعــافية . . .

وعندما امسكت عن الكلام ، أسرع عبد الغنى قــائلا كأنــه يبتهل : ويعطينا الأطفال .. الذين يملأون حياتنا بهجة ونورا ..

تململت هى فوق مقعدها عدة مرات ، وراحت ترنو الى ذلك السيل المتواصل من السيارات التى تتدفق فوق الطريق المتجه بهما من الفجيرة الى الشارقة ، ثم همست الى زوجها : لا تتعجل هــذا الامر .. اننا لم نتزوج الا منذ ستة شهور فقط .. مازال أمامنا الكثير .. البعض ينتظر سنوات ..

---

* نشرت بجريدة الخليج — يوليو ١٩٨٨

وصمتت بضع لحظات .. أحست فيها بالامتعاض والانقباض .. انها تدرك تماما مدى خداعها لنفسها .. وكيف أنها تتمنى ليل نهار لو يرزقها الله بطفل أو طفلة تكون بمثابة الرباط المتين بينهما حتى يستمر نعيمها معه فى أحضان تلك الحياة الرغدة .. فهى لم تنسى بعد ما أثاره مجرد خطبته لها من زوابع الدهشة والاستغراب والحسد فى بيوت القرية كلها .. حتى من اقرب الناس اليها .. وكيف كانت تتساءل نساء وبنات القرية — وخاصــة المتعلمــات منهن — وهن يمصمصن شفاههن غير مصدقات مجرد الخبر : أيعقل أن يتزوج شاب جامعى .. ويعمل مدرسا فى دولة الامارات العربية المتحدة منذ ثلاث سنوات من بنت جاهلة لا تعرف القراءة ولا الكتابة .. بالرغم من كثرة الفتيات المتعلمات بالقرية .. ؟!! .. وتسارع اخرى بالرد عليها بحقد اكثر من الأولى : ربما اغرته الخمسة أفدنة التى ورثتهم عن أبيها .. أو .. أو .. قد يكون جمــالها ؟ .. وتتدخل اخرى بحقد فاقهن جميعا ومتنبئة بفشل تلك الخطبة وبأن الزواج لن يتم .. ويزداد خوف وطنيــة من تحقق تلك النبــوءة الشريرة .. ولكنها لا تملك شيئا للرد به عليهن .. فتطوى خوفها تحت جنــاح صــبرها واستسلامها لأمر الله ..

—

وتم الزواج .. وها هى معه الآن فى دولة الامارات .. تركب معه سيارته الحمراء ذاهبين معا الى سوق الرولة بالشارقة .. حيث الملابس الرخيصة .. لشراء بعض الهدايا التى ستحملها معها الى أهلها وذويها فى مصر .

واستدارت بوجهها الى زوجها تود ان تملأ عينيها بمنظره ، وتتأكد من أن الله قد حقق بالفعل كل امانيها .. فراعها أن تراه رافعا كلتا يديه عن مقود السيارة ويتركها تنطلق سريعة دون أن يلمسه .. صرخت : ما هذا ؟!! .. اتريد قتلنا ؟!! .. امسك مقود السـيارة جيدا ارجـوك !!

انتبه لها عبد الغنى .. جلجل بضحكة عالية مليئة بالثقـة بنفسه واعتقادا بسذاجتها .. ثم أمسك بمقود السيارة ، والتفت اليها موضحا : انا لا افعل هذا من قبيل العبث واللهـو .. لكننى الاحظ مدى اتزان السيارة على الطريق .. فلو ان توازن الاطارات كان مختلا .. لانحرفت السيارة عن الطريق المستقيم ..

فهمست اليه بعد ان اطمأنت وبرجاء : ارجوك .. لا تفعل هذا مرة ثانية .. لقد أحسست بروحى تخلع من جسدى .

رد عليها مجاملا وهو يضحك : سلم الله روحك وجسـدك من كل شـر ..

ومد يده يعبث بمفتاح السيارة باحثا عن اغنية مرحة يكمل بها جو السعد والفخامة الذى يحلق فيه .. ولكن صـوت مذيع الأخبار لطمه وهو يقول « مازالت المعارك دائرة بين عصـابات التاميل والقوات السيرلانكية » وعلى الفور ادار المفتاح متأففـا اعوذ بالله .. كل الأخبار عن المعارك والحروب والتدمير ؟!! .. ووقف منه المؤشر على محطة انفجرت منها موسيقى عالية صاخبة

تكدست فى فراغ السيارة المحكمة المكيفــة .. مما سبب الازعاج لوطنية فصاحت متوسلة : أرجوك يا عبد الغنى .. أخفض من هذا الصوت .. أود التحدث اليك ..

ولم يتأخر فى تلبية رغبتها .. فمد أنامله من جديد ، وأخفض من الصوت تماما قائلا وقد عادت اليه ابتسامة الرضى لتسترخى فوق شفتيه : تحت أمرك يا وطنية .. كلى آذان صاغية .. ولكن .. بالمناسبة .. وقبل أن تتكلمى .. خطر لى ســؤال الآن .. لماذا اسموك وطنية .. ان هذا الاسم يعتبر غريبا .. لم أسمعه من قبــل .

تساءلت بانزعاج : أهو اسم قبيح ؟ !!

فاعترض مستنكرا : لا .. لا .. أنا لم اقصد هذا .. انه اسم جميل مثلك .. ولكن أقول انه اسم نادر الاستعمال ..

أجابت بارتياح : يقولون أن جدى ـ رحمه الله عليه ـ هو الذى أوصى به قبل أن يموت فى المعتقل .. يقولون أنه كان وطنيا ويحب السياسة و ...

فقاطعها قائلا : وهل هناك أحد لا يعرف جدك ـ رحمة الله عليه ـ كان من كبار الوطنيين بالبلد .. ولذا مات شهيدا فى المعتقل ولكن .. عفوا .. ما هو الكلام الذى كنت تودين أن تقوليه ؟

تمهلت .. ترددت للحظات قبل أن تهمس متلعثمة ومن خلال ابتسامة صافية يلفها كثير من الحياء والخجل : كنت .. احب أن ..

آخذ رايك .. فى بعض الهدايا .. أو شراءها لأخواتى البنات .. وكذلك .. اولادهن .. لقد ابتهجـوا كثيرا عندما علمـــوا اننى سـأتزوجك .. وأسافر معك الى الامارات .. وطلبوا منى هدايا .. ووعدتهم بها و ...

ولم يدعها عبد الغنى تكمل ، بل قاطعها قائلا كأنه ينقذها من الحرج : لا تكملى .. سـأعطيك النقود .. واشترى كل ما يحلو لك .. فالحمد لله .. الخير كثير .. ثم ان أهلك هم أهلى ..

وسيطر عليها احسـاس جارف من الحب والانتماء الشديد له عقب سماعها لتلك الكلمـــات الحانية التى جعلتها تذوب فى دفء اخلاصها . تمنت لو يسمح لها لكى تميل على يده تقبلها وتقبلها ثم تمسح خدها الناعم البض بتلك الشعيرات السوداء الخشـــنة المنثورة فوق ظهر يده العفية القوية .. لكنها تجلدت وتماسكت واقلعت عن تلك الفكرة حتى لا يرتبك وهو ينطلق بالسيارة .. الا أنها لم تفلح فى حبس كلمات العرفان بالجميل .. والشكر .. والدعاء له بطول العمر والصحة وبأنه أغلى واحب انسان لها فى هـــذا العـــالم و .. و

واندهش عبد الغنى لتلك الكلمات الملتهبة من الشـــكر التى يسمعها من وطنية فتساءل مستغربا : ما هذا الذى تتفوهين به .. انك زوجتى وشريكة عمرى . وأم أولادى ان شاء الله .. وهذا واجب على .. ثم اننى ومنذ أن تزوجتك وانا أعتبر انك كل من لى فى هذه الحياة أنت امى وأبى واخوتى واصدقائى .. وعمـــرى وكل ما أملك ملك لك ..

قاطعته فى نعومة وتوهج هامسة : عبده .. كفى .. اننى لم اعد احتمل مثل هذا الكلام الرقيق الجميل .. لو تكلمت اكثر من هذا ستجدنى فى لحظة واحدة فاقدة الوعى .

فقال ضاحكا : على اى حال .. لابد لى أن اصمت تماما .. لأننا قد وصلنا الى سوق الرولة ..

وافاقت .. بينما راح هو يبحث عن موقف مناسب يوقف به سيارته ..

وهمس لزوجته — بعد ان أوقف السيارة — فى ود : تفضلى بالنزول ..

ونزلت .. ونزل .. واغلق السيارة جيدا .. امسك يدها بيده .. فى لحظة زاغت عيناها فى كل الانحاء .. نسيت عبد الغنى الممسك بيدها .. خطفت ابصارها تلك الملابس الزاهية بألوانها المتباينة التى علقت متراقصة على واجهة الدكاكين .. ولعب الأطفال المبهرة والحقائب الجميلة التى رصت أمام الدكاكين فى تنسيق بديع اشياء واشياء كانت تحلم برؤيتها وبشرائها لنفسها ولاخواتها البنات وأولادهن .. وافاقت على صوت زوجها عبد الغنى وهو يجذبها من يدها منبها : سنعبر الطريق حتى ندخل الى السوق .

وعبرت معه الطريق مسرعة كأنها تثب عندما رأت سيارة مسرعة تقبل عليهما .. واحس عبد الغنى بالحرج أمام الناس وهم يرون زوجته تهرول خائفة من السيارة ، فلكزها فى يدها قائلا : لماذا تهرولين هكذا مثل البعير .. أضحكت الناس علينا !!

ولم ترد عليه .. ودخلت معه السوق بحواريه الضيقة وتذكرت حوارى قريتها ، ولكن القرية لا يوجد بها هذا الزحام الشديد كأنه يوم الحشر .. الدكاكين متلاصقة متراصة .. كلها تطفح بالملابس والازياء المختلفة ولمختلف الجنسيات .. احست بنفسها كأنها وسط غابة من الفساتين الجميلة من مختلف المقاسات لهجات مختلفة .. لغة عربية محطمة تنزلق من بين الشفاه .. ادركت لحظتها أن لهذا السوق لغة خاصة تنفرد به وحده ، ومن الواجب عليها أن تجيدها وتتقنها .. وعلى الفور ارخت ذلك كله جانبا عندما تعلقت عيناها بفستان طفلة جميل .. شدها اليه لونه الوردى وهذا التطريز المنمنم الفتان الذى يحيط بفتحة الرقبة والصدر والوسط كذلك ... هتفت لزوجها مشيرة بيدها : عبد الغنى .. عبد الغنى هذا الفستان .. انظر كم هو جميل ورائع .. انه يناسب سلوى ابنة أختى فاطمة .. ما رايك يا عبده ؟

فأجاب وقد بدأ صدره يضيق بتلك الرطوبة الخانقة التى تملأ الجو ، وتلك الرائحة المنفرة المنبعثة عن أجساد لا تستحم كثيرا : كل ما يعجبك اشتريه .. لا تسأليني ..

اندفعت الى الفستان .. تعلقت به .. لم تعرف كيف لمحها الأسيوى الذى يعمل فى الدكان ، فقد وجدته يثب أمامها ، وانزل الفستان ، وابتسامة تواضع تسيل من بين شفتيه بعد أن رقصت رأسه فوق رقبته عدة مرات قال : ((هذا زين ماما)) وساومته على الثمن ، واشترته ، وحمل عبد الغنى الكيس .. وذهبت الى

ثان وثالث .. وزاد عدد الأكيــاس .. وزاد نزيف العــرق تحت ابطى عبد الغنى .. وتسرب الملل والزهق الى كل حويصلات رئتيه صار غير قادر على مسايرتها ومتابعتها .. فهو بطبيعته لا يحب السير مع الحريم فى السوق لحظات شرائهن .. ولكنه لم تطاوعه نفسه بالتضييق عليها فى تحقيق رغبــاتها المحمــومة فى شراء كل ما فى هذا السوق حتى تحمله الى اخواتها واولادهن فقال بامتعاض : سأذهب لأضع تلك الاشياء فى السيارة .. بدلا من حملها هكذا .. سأنتظرك فى السيارة .. حتى تنتهى من الشراء ..

ولكأنها استراحت لهذا الراى وخاصة بعــد أن لمحت علامات القنوط والسأم تندى جبين وجه زوجها الذى كساه التجهم : كما تشاء

وسألها باقتضاب : أوتعرفين مكان السيارة ؟

اجابته دون أن تعيره نظرها الذى جذبه فستان آخر يتراقص فى صدر دكان على بعد خطوات : نعم .. نعم أعرف المكان .. توكل أنت على الله ..

ولكنه بعد أن سار خطوتين .. استدار على عقبيه راجعــا وهتف قائلا : ما رايك لو انتهز الفرصة واذهب الى سوق الخضار لشراء بعض الخضار ؟ .. قد اتغيب ســاعة واحــدة أتكونين قــد انتهيت من الشراء ؟

فرحبت قائلة : نعم .. لا بأس .. ولكن لا تتأخر فأنا لا أعرف احــدا هنــا ، وانسحب من امامها قائلا : لن أتأخر .. ســاعة واحــدة فقــط ..

واحست تنسمات الحرية وعدم الاحراج تهب عليها فى غياب زوجها الذى اعطاها كل ما ارادته من النقــود .. وفتحت شهيتها للشراء اكثر واكثر .. وتوغلت داخل كهوف الســوق .. ونسيت نفسها مع هذه الأشياء الرائعة من ملبوسات واقمشة ولعب الاطفال تلك التى استأثرت على جل اعجابها .. وتمنت اكثر لو كان لديها طفل وتشترى له تلك اللعب بدلا من شرائهــا لأولاد اخواتهــا .. وشرعت تسبح بهدوء ونعومة بين تلك المشاعر الفياضة والآمــال الورديــة .. وكم ستلقى من اعجاب وتقــدير واحترام وحب من اخواتها واولادهن يوم أن تخرج لهم تلك الهدايا التى تشتريها لهم وسألت نفسها منتشية متى تأتى العطلة الصيفية لقد اشتقت لأهلى جــدا جــدا ..

واستطاعت تلك الأضواء بين دهاليز السوق وداخل المحــال ان تضللها عن معرفة الوقت الذى مضى عليهــا هنا فى الســوق ولم تنتبه الى أن الليل الغاشم قد بث سدف ظلامه الســوداء وحشرها فى كل مكان مفرغ من الضوء .. ولم تشعر بغيــاب زوجها عنهــا واحتياجها اليه الا بعد أن نفذ آخر درهم معها .. فراحت تجرجر اكياسها بكلتا يديها بين النشوة والتعب الذى استيقظ توا ، وشرع يعض أعطاف جسدها اللدن .. وراح ينهش فى ساقيها .. وانتبهت الى ان الجو حار جدا وان رائحة السوق مليئة بالعرق المميز .. وواصلت جر الاكياس الثقيلة وكأنهــا تجر اطنــانا من حديد .. محاولة تلمس اى منفذ يؤدى بها الى موقف سيارة زوجها الحمراء

واختلطت عليها الحارات المتشابكة المتداخلة .. وشرع الاحساس بخيبة الأمل يهاجمها فى كل مرة تضل الطريق الى سيارة عبد الغنى وزاد احســاسها بثقل الأكيــاس ، ولكن ذلك لم يضعف فرحتها وسعادتها بها .. غير أن الكثير من مشاعر الاحباط والندم تنفــذ الى داخل صدرها وتؤنب نفســها قائلة : لمــاذا تركت عبد الغنى يمضى ويتركنى هنا .. لو ان معى الآن لهان كل شىء ، ولزال عنى هذا الخوف الذى يحيط بى .. انه ذنبى أنا .. لماذا تركته يذهب ؟

واستحال خوفها الى رعب عندما بدأت تلاحظ أن أقدام المارة والمتسوقين بدأت تخف وتختفى شيئا فشيئا .. وتوشك الحوارى ودهاليز السوق أن تكون شبه فارغة ، وأمل ساذج يداعب خيالها بأن ترى أمامها فجاة زوجها عبد الغنى يبحث عنها بين تلك الممرات وينقذها من تلك العيون الآسيوية النهمة التى راحت تخترق ثيابها لتصل الى لحمها .. ولكن لم يظهر عبد الغنى ، وتملكها احساس بالضياع فى تلك البلاد البعيدة ، وتشبثت بأكياس الهدايا تستمد منها الأمان والأمل بقرب لقائها بزوجها ــ الذى ــ لا شك ــ يبحث عنى هو الآخر ولكن ربما فى جانب آخر من السوق .

ولم تستطع أن ترفع كفها لتمسح دمعة كبيرة ساخنة تدحرجت من عينها اثر احساسها بالضياع والغربة .. لقد صار كل شىء من حولها ممســوح الملامح .. أصــم .. أبكم .. لا ينطق بأى شعور بالأمان .. كل الأشياء هنا طلاسم متربصة متحفزة توشك أن تنقض عليها تنتزع منها الاكياس ثم تطيح بها الى البعيــد ..

الى حيث لا رحمة ولا عودة من جديد .. حتى هـذا الشرطى الذى طمأنها شكله فى أول الأمر ، وهو يمشى الهوينى فى الشارع العام الذى استطاعت أخيرا الوصول اليه ، لم يعد يشعرها بالآمـان .. ان الخوف من العسكرى متغلغل فى اعماق نفسها البعيدة منذ أن كانت طفلة يخيفونها بالعسكرى .. ومنذ ان كانت شابة تستيقظ فزعة على أصوات مقطومة مخنـوقة واذ بالشرطة قد أتت لتأخذ اباها بعد ان تقلب البيت رأسا على عقب .. وها هو العسكرى يتجول بعيدا عنها ولكن يتابعها بنظرات سريعة ثاقبة فترتعد خوفا من ان يشك فيها ظن السوء ، فلا تملك الا ان تشيح بوجهها بعيدا عنه وزاد عتابها المر القاسى لعبد الغنى .. كيف .. كيف يتركها وحيدة فى هذا المكان ويغيب عنها كل هذا الوقت .. انـه يعلم جيدا انهـا قليلة الحيلة .. لا تعرف القراءة ولا الكتابة .. وبينها وبين من تعرفهم من الناس فى الفجيرة اكثر من مائة كيـلو متر .. وليس معها حتى هوية تثبت للناس او حتى للعسكرى من هى .. ولم تملك وسط كل تلك المشاعر التى تمور بداخلها غير التذرع بالصبر وتدفق الدموع التى راحت تكفكفها بعد أن هـان عليهـا ووضعت اكياس الهدايا بجوارها على الأرض فصارت لمن يراها كأنها مجموعة من الكلاب الضالة رقدت للراحة بعد أن هدها طول المسير والركض وبين لحظة واخرى كانت تتوقف أمامها سيارة أجـرة يطل منهـا آسيوى برأسه عارضا الخدمة : « تاكسى ماما .. تاكسى ؟ »

كانت تصاب بالرعب منه وهو يتفرس فيها ، فتدير رأسها بعيدا عنه ، فينطلق مسرعا .

باتت الشوارع فارغة . .اخذت الدكاكين تلملم بضـائعها المطروحة امامها . وتنزل تلك الأزياء المشنوقة على واجهتها ، وتقذف بها في عجلة الى الداخل ، وخنقت اضواءها ، واوصـدت أبوابهـا تاركة لخيالات ظلامية تتواثب فوق بعضها البعض كأنها كانت نائمة واستيقظت توا ، وتمطت احاسيس الوحشة القاتلة وراحت تزحف الى كل مكان وكل منعطف وتكفنه بالصمت الرهيب من حولها ..

اقترب رجل الشرطة القائم بالحراسة منها .. فزعت منه .. أدار ت راسها حتى لا تراه .. مر بها .. تأملها للحظات .. أراد ان يسـألها .. ادرك انها تحجـم عن ذلك .. تجـاوزها .. لم يكلمها .. همس لنفسه مستنبطا ((انها سيدة محترمة .. تحمـل اكياسا .. كانت تتسـوق .. ربما تنتظر احد محـارمها) .. وواصل تجواله متجها صوب ثلاثة من الشباب الأسـيويين كانوا يقفون على مقربة من السيدة يحملقون فيها ، ويتبادلون الكلمـات السريعة المقتضبة ، ثم يعاودون رشقها بنظرات جائعة نهمة .. كانت تلتهم طولها الفـارع وفتنتها الأخـاذة .. تفرقوا بخفـة وانسيابية عندما ادركوا أن الشرطي يقصدهم ..

همست وطنية لنفسها وقد خارت كل قواها ولم تعد قادرة على ان تتجلد اكثر من ذلك بعد أن فقدت الأمل في عودة عبد الغني ((لابد ان مكروها ما قد وقع له .. لا يمكن أن يتغيب كل هذا الوقت بارادته .. ولو بقيت هنا منتظرة طوال العمر لما أثمر عن شيء من الأفضل ان اركب أي تاكسي الى الفجيرة واستغيث بجـيراننا زملاء عبد الغني في المدرسة ..) .

وعند اول سيارة أجرة توقفت امامها .. فتحت بابهـا .. القت فيها اكياس الهدايا ثم القت بنفسها خلفهم .. اوصدت باب السيارة وتوسلت الى السائق الآسيوى : الفجيرة يا رفيق .

انطلقت السيارة على الفور عندما لاحظ السائق أن رجل الشرطة يهم بالمجىء اليـه .

وبعـد ســاعتين تقريبـا .. توقفت فى نفـس المـكان سيارة تاكسى .. فتح الباب وهبط منها عبد الغنى ، وقد احـاط راسه بشاش وقطن ، ويبدو عليه آثار التعب والاعياء ... واخذ يتجول ببصره فى أرجاء المكان .. هاله ان المكان كله مغلق صامت طلب من سائق التاكسى ان ينتظره للحظات .. اراد أن يجوس خلال حارات سوق الرولة الفارغة .. لحقه الشرطى واستوقفه متحريا ؟ الى اين انت ذاهب ؟! .. لقد اغلق السوق .

لم يجبه عبد الغنى بل عاجله بسؤال مضطرب : الم تر سيدة طويلة القامة بيضاء محجبة .. كانت تنتظر هنا ؟

اجاب الشرطى دون تردد : نعم كانت تقف هنا ومعها مجموعة من الأكياس .. ومنذ ساعتين ركبت سيارة تاكسى .

ابتلع عبد الغنى لعابه الجاف وقد سيطر عليه الخوف تماما : الا تعرف الى أين ذهبت ؟ هز الشرطى رأسه نافيا : لا .. لكنى من باب الاحتياط سجلت رقم السيارة .. ها هو .

احس عبد الغنى بالأرض تميد من تحت قـدميه وترنح .. اوشك ان يسقط .. بسرعة تشبث بكتف الشرطى .. مد الشرطى يده له ليمسك به .. سأله متعاطفا : ما الموضوع يا اسـتاذ ؟

اجاب عبد الغنى وهو يمر بأطراف أصابعه المرتعشـــة على بعض الكدمات بوجهه : انها زوجتى .. تركتها هنـــا للشراء .. شراء بعض الهدايا .. وذهبت انا الى سوق الخضر .. وفى الطريق وقع لى حادث تصـــادم ، ونقلت الى المستشفى .. وعندما افقت .. اتيت مسرعا .. ولكنى .. ها انا لم اعثر عليها .. ولست ادرى مـــاذا فعـــل ؟

تفرس الشرطى مرة ثانية فى وجه عبد الغنى وهو يسأله : من اين انت يا أستاذ ؟

ـ انا معـــلم بالفجـــيرة

ـ هل تشك بأن هناك مكروها ما قد يلم بها ؟

همس عبد الغنى بضعف شـــديد وشرود : لست ادرى .. لكن زوجتى قليلة الحيلة .. ولا تعرف القراءة ولا الكتابة .. وليس لنا احد هنا .. ولا أعرف ما هو مصيرها ؟

هز الشرطى راسه بعد أن وصل الى قرار ذكى : يجب علينا ان نتصل بمركز الشرطة ونحيطه بالأمر حتى يتمكن من متابعـــة السـيـــارة على طريق الفجـــيرة .

رحب عبد الغنى بالفكرة قائلا : وساركب انا هذه الســـيارة والحق بزوجتى فى الفجيرة .. واذا لم اجدها ساقوم بعمل محضر فى الشرطة .

وعلى الفور تكلم الشرطى فى جهاز اللاسلكى الذى يحمله مبلغا بالموضوع .. وخلال دقائق كانت الاشارة قد بلغت الى كل سيارات الشرطة على الطرق .. وانطلق عبد الغنى الى الفجيرة .

وبعد أيام من البحث المكثف من الشرطة وعبد الغنى .. لم يتمكن احد من العثور على وطنية .. وتبين ان السيارة الأجـرة التى ركبتها من الشارقة كانت مسروقة .. و عثرت عليها الشرطة مهملة على جانب الطريق بالقرب من الذيد .. وكانت خالية تماما الا من أكيـاس كثيرة تحتوى على ملابس حريمى وملابس ولعب أطفال متناثرة فى أرض السيارة واستنتجت الشرطة من هذا المنظر أن وطنية قد قاومت كثيرا قبل أن تغادر السيارة .

وحتى الآن .. لم يزل البحث جـاريا عنها ما بين الســاحل الشرقى الطويل وسوق الهنود بالشارقة .. وقد تم رصد جائزة مالية ضخمة لكل من يدلى بأية معلومات ترشد الى مكان السيدة وطنية

تمــت

« اخلاق العصافير » *

عندما همس فصل الربيع همسات مرحة رقيقة فى آذان الموجودات الحية بقريتنا ، انشرح صدرها وتفجرت من اعماقها طاقاتها المخبأة ، وتمايلت الأغصان فى دلال متخلصة من ذلك العبوس الشتوى الكالح الذى كفنها مدة طويلة ، واطلقت ضحكات منتشية مشرقة مضيئة بألوان ازهارها الفتية المتوهجة ، وانطلقت الحياة المتدفقة من اعشاش الطيور بهيجة متحمسة لحياة جديدة ناثرة اغاريد السعادة ، متراقصة فى خفة ورشاقة فوق أفنان تلك الدوحة الكبيرة التى يظلل بعض منها أجزاء صغيرة من سطح بيتنا القروى الطينى ، المتوج بقش الأرز الطرى .. هكذا شعرت بنشوة الحياة والحب تحاصرنى من كل صوب ، وتنامى فى أعماق كيانى احساس قوى باحتياجى انا الآخر الى عصفورة حلوة مراهقة فى مثل سنى تشاركنى السماع والاستمتاع بهذه الهمسات الربيعية الحلوة .. تمنيت ذلك باخلاص ورحت اتابع العصافير التى تتواثب بخفة فوق اغصان دوحتنا .. كل عصفور مع عصفورته يكملان لحنا جميلا لاغنية واحدة يقطعانها بوشوشة فى الآذان ، أو دغدغة بتحنان ناغم حول الرقبة ثم تواثب واعتلاء سريع مرتعش فتتمدد ارتعاشها حنينا ورغبة فى قلبها البكر الذى شرع ينبض نبضات متوهجة بحب جديد تجاه عصفورة حلوة تسكن فى بيت مقابل لبيتنا

---

* نشرت بجريدة البيان ـ فبراير ١٩٧٩

وقبل أن يشرد عقلى اليهـــا ، ويسافر خيالى حـــاملا احدث احاسيسى الغالية مهملا الكتاب الذى استذكر فيه استعدادا لامتحان الصف الثانى الثانوى ، شد انتباهى هـــذا العصـــفور الذى ترك الشجرة واغصانها عابسا متضايقا وحط بالقـــرب منى فوق عفش الأرز الذى استرخى عليه متكئا الى كتابى المبسوط أمـــامى تحت ظلال شمس الاصيل .

بعد لحظات أقبلت اليه عصفورة أنثى ، ولأنى قروى وقـــوى الملاحظة ، فأنا استطيع التمييز بسهولة بين نوعى العصـــافير .. فالذكر أكثر قوة وجمالا مثل أبطال الســـينما فى الخمســـينات .. بينما العصفورة الأنثى تكون ضئيلة الحجم وهضماء وتلاحق الذكر دائما ، نحيت الكتاب للحظات لأتابعهما .. رايت الذكر وقد أشـــاح بوجهه مبتعدا عن العصفورة التى لحقت به ثم استدار اليها صارخا فيها : ماذا تريدين منى ؟!! .. العش وتركته لك .. الشجرة وكل اغصانها تركتها من أجلك !!

همست له العصـــفورة فى اســـتجداء واستعطاف : أرجـــوك يا حبيبى .. لا تغضب منى .. لم أكن اقصـــد أن اغضـــبك .. لا تتركنى .. أنا بحـــاجة اليـــك .

وثب بزهق وثبتين مبتعدا عنها ثم صرخ فيها : كفاك كلاما وتحايلا .. لقد شبعت من تلك الكلمات المتذرة .. يبـــدو أن الله قد خلقك لتنكدى على كل عصافير الدنيا .

وثبت ناحيته وثبتين حتى اوشكت أن تلتصق به : صدقنى انا أفعل هذا لأنى احبــك . ضرب رجليه فى عفش الأرز بانفعــال وعصبية ثم رفع منقاره دهشا محتجا : لأنك تحبيننى تخلقين لى المشكلات !! .. تلك الغيرة القاتلة .. كلما رأيت عصــفورة تطير بجانبى ، او تتراقص فوق الغصن الذى اقف عليه تنقضين عليهــا بلسانك السليط وتتشاجرين معها . دمعت عيناها وراحت تتوسل اليه باخلاص : أقسم لك يا حبيبى اننى أفعل هذا بدافع من حبى لك الذى يزلزل كل كيانى .

نظر اليها نظرة مشمئزة مستهجنة ثم هز رأســه عدة مرات قائلا : وفرى كلامك .. فأنا اعلم الذكور بكن نساء العصافير .. على أى حال .. سأنطلق الى قرية بعيــدة .. بعيدة .. فربمــا عثرت هناك على راحتى وسعادتى مع عصفورة أخرى ..

وهالنى تلك الدموع التى جفت فى عينيها بسرعة وكأنها لم تكن ، وتلك الهيئة الشرسة المتوحشة التى كست سحنتها مبتعــدة عنه بثلاث وثبات ثم صرخت فيه : هذا هو الأمر اذن .. تريد أن تعاشر عصفورة غيرى .. فليجعل الله هذا اليوم هو آخر أيام عمرك رمقها بغيظ وكراهية : لو استجاب الله لدعائك .. لكان ارحم لى من نار معــاشرتك .

ثم انطلق مرتفعا فى الفضاء أمـــام عينى ، وواصلت متابعته مستغربا .. واذ بصبى شقى يقف فوق سطح الجيران ممســكا بنبلة مطاطية بها حصاة أطلقها فى الفضاء بطريقة عشوائية واذ بى أرى أمامى فوق قش الأرز نفس العصفور الذكر يهوى صريعا .. ترتعش جناحاه .. تتشنج ساقاه .. راح يتقلب فى ألم قــاتل ، بينما الدماء تنزف من تحت ابطه .. وقبل أن يفارق الحياة نظر الى الفضاء الواسع نظرة وداع أخير ، فاذا به يرى عصفورته تتذفه بنظرة شامتة ثم انطلقت وراء ذكر جديد كان يدف بجناحيه وحيدا ، وطفقت تغنى له أغنية حب جديدة .

تمزق قلبى لهذا الصريع .. نهضت ودفنت رفــاته .. ثم عدت ودفنت كل أحاسيس ومشاعر الحب الوليدة عندى بين صفحات الكتاب ، متناسيا عصفورتى التى تسكن فى البيت المقابل .

تمـــت

« زوجــة صــديقى » *

عندما توجهت لتسلم عملى الجديد كمدير لفرع شركتنا فى المدينة المجاورة للمركز الرئيسى الذى كنت أعمل به ، شملنى حرج شديد من كيفية التعامل مع زوجة صديقى الحميم مفيد ، التى تعمل موظفة فى نفس الفرع ، فهى سيدة محترمة جدا ، ووقورة جدا الى حــد التزمت والتحرج من التعامل مع الجنس الخشن .. ثم ان لها رأيا جانبا ينم عن عدم رضى عن ديوانى الأول الذى نشر منذ شهور .. ليس كل الديوان .. فقط تلك القصائد التى تتغزل فى مفاتن المرأة ــ هذا ما قاله صديقى مفيد ــ عندما كان ينقل لى رأيها منتشــيا فخورا بزوجته العاقلة الملتزمة ، وكان يدعو لى دائمــا بالعثور على زوجة تكون قريبة الشبه من زوجته فى طباعها وسلوكها النــادرة فى هــذه الأيــام .

وفى الحقيقة لم أرها غير مرتين ــ بالصدفة ــ حينما قابلتهما معا فى السوق .. لحظتها كان يقبل على صديقى مفيد مادا يــده ومسلما بحرارة وشــوق ، بينمــا كانت هى تثبت مكانها ، فقط ترمقنى بنظرة سريعة ثم تتشاغل بالنظر الى أشياء أخرى متجاهلة

---

* نشرت بجريدة الاتحاد (ثقافة وفكر) فبراير ١٩٨٨

وجودى ، ولا تفكر فى مد يدها والسلام على ، ويضطر هو للاعتذار قائلا : لا تؤاخذنى .. انها لا تسلم على الرجال الغرباء ..

فأجامله معجبا : انها حقا نوع نادر من زوجات هذه الأيام .. انها لا تسير بجوارك .. دائما تسير خلفك !! ..

فيرد مغتبطا برجولته : هكذا هو طبعنا فى الصعيد .
وسبب الحرج الذى ينتابنى الآن هو ان عملى كمدير للفرع قد يضطرنى ـ احيـانا ـ الى استدعائها الى مكتبى وتوجيـه بعض الأوامر والتعليمات .. وقد تكون تلك التعليمات تتطلب السرية مما يستدعى معه غلق باب المكتب علينا منفردين .. فهل ستقبل هى ذلك ؟ .. وكيف سأوفق بين انجاز عملى كمدير على الوجه الأكمل ، وبين الحفـاظ على علاقتى بصـديقى مفيد الذى أعتبـره أخلص أصدقائى ، كذلك يعتبرنى هو

وحالما اقتربت من باب الفرع .. صفعتنى ضحكة نسـائية صاخبة ، تلتها ضحكة اخرى لنفس المراة .. أقبل على الفـراش الذى يعرفنى جيدا مذ كان يعمل معنا فى المكتب الرئيسى .. حمل حقيبتى مرحبا .. سبقنى بها الى باب حجرة المدير الخاليـة .. دخلت متميزا من الغيظ .. لم أصبر .. سألت الفراش حانقـا : هذه المراة التى تطلق تلك الضحكات الصـاخبة .. أهى موظفـة بالفـرع ؟ .. أم عمـيلة ؟

أجاب الفراش مترددا : موظفة بالفرع يا سيادة المدير

قررت ان أمارس ضبط الفرع من هذه اللحظة ، وأفـاجىء الموظفين على مكاتبهم فسألته غاضبا : فى أى حجرة هى ؟!!

توجهت حيث أشار لى بيده .. اقتحمت الحجرة .. لم أجـد فى الحجرة غير رجلين وامرأة واحدة .. كانوا يضعون مجموعة من (السندوتشات) فيما بينهم على مكتب واحد بالاضافة الى أكواب الشاى — ويسـتمرون فى الأكل بينمـا الضحكات تتدفق من بين شفاههم مثل أمواج البحر المضطربة .. عندما شعروا بوجـودى بينهم .. وقفوا مأخوذين .. لقد عرفونى فى الحال .. اوشكت على الانفجار فيهم مؤنبا وموبخا .. لكن الكلمات والأنفـاس تكلست منى بين شفتى المفتوحتين وأسنانى .. حملقت مبهوتا للحظات .. انها هى .. زوجة صديقى مفيد .. هى المرأة الوحيدة تضحك بين الرجلين .. اسـتدرت على عقبى منسحبا الى مكتبى .. جلست اليه بعد أن اغلقت الباب خلفى تماما .. كأنى أحول بينى وبين تلك الصاعقة .. ابتلعتنى حالة من انعدام الوزن .. أيعقل هذا ؟!! .. أيمكن أن تكون تلك المرأة التى تأكل وتضحك مع الرجلين هى زوجة صديقى مفيد ؟!! .. أهى تلك المـرأة الملتزمة ؟!! أهى تلك المرأة التى ترفض السلام على الرجال الغرباء ؟!! أهى تلك المـرأة التى شجبت قصائد الغزل فى ديوان شعرى ؟!! .. أهى تلك المرأة التى يفتخر بها زوجها الطيب وهو يتحسس شاربه النائم فوق شفتيه داعيا لى بالعثور على زوجة تشبهها .. مرة أخـرى هززت رأسى مستنكرا بشدة أن تكون هذه المرأة هى زوجة صديقى .. قد تشبهها فى الملامح فقـط ..

ضغطت باصبعى على الجرس .. استدعيت الفراش وسألته فى شك : من تكون تلك الموظفة ؟ أجاب الفراش بحسرة وأسف : انها زوجة الاستاذ مفيد .. الرجل الطيب الموجود بالمكتب الرئيسى السيدة آمال .

التقط انفاسى وسألت : اهى المرة الأولى التى تتناول طعامها مع زملائها ، وتضحك تلك الضحكات ؟

طأطأ الفراش راسه مغتاظا : بالطبع لا .. للأسف هى الموظفة الوحيدة هنا التى تفعل هذا .. سيادة المدير .. انها لا تخجل من فعل أى شىء .. ضحك .. نكات .. مداعبات بالأيدى مع زملائها دون حياء .. بالله يا سيادة المدير هذه المرأة غير جديرة بالاستاذ مفيد الوديع الطيب .. لو كانت زوجتى لقتلتها واسترحت منها .

استضخمت ما قاله فهتفت غير مصدق : ياه .. الى هذا الحد ؟!! .. اسمع .. استدعها لى .

بعد لحظات فتح الباب .. دخلت هى فى دلال .. اغلقت خلفها الباب .. تقدمت نحوى باشة مرحبة مادة يدها بالسلام .. نهضت .. سلمت عليها ومظاهر الدهشة تتكور فوق وجهى .. سألتها : حضرتك السيدة آمال .. زوجة صديقى مفيد د؟

اجابت مبتهجة : نعم .. أخبرنى مفيد بترقيتك وبأنك ستتسلم عملك كمدير للفرع اليوم .. فى الحقيقة فرحت جدا ..

لأن مديرى سيكون الشاعر الحساس الرقيق الذى يرتعش حنانا لمرأى مفاتن المرأة مشعرا لها بأنوثتها .

قلت متعجبا : مفيد قال ان رأيك غير هذا .. قال انك أعجبت بقصائد الديوان كلها عدا الغزلية .

أطلقت نفس الضحكة الصاخبة الماجنة .. ملأت بها غرفتى ووثب بعضها من النوافذ المفتوحة ثم همست : هذا هو فن ممارسة الحيـاة الزوجيـة .

استفسرت دهشا : اى فن تقصدين ؟ !!

قالت موضحة : ان الزوجة الناجحـة لابـد أن تلعب دور الساحرة مع زوجها .. فيجب عليها أن تعرف ماذا يريـد منهـا ثم توهمه بأنها تحتوى على كل ما يريد .. فعندما تقدم مفيد لخطبتى من النظرة الأولى اليه أدركت أنه رجل من القرن المـاضى .. وأنا بطبيعتى منطلقة وأضيق بالقيود .. ومع ذلك اعجبت به جدا .. وقررت أن أستبقيه لى زوجا .. واحافظ على حياتنا معا سـعيدة هادئة وذلك بأن اتظاهر له بم ايريد و ..

انتفض جسدى وصحت محتجا : لكن هذا .. هذا احتيال !!

ردت على الفور كأنى تلميذها الغبى : انها وسيلة ضرورية لتحقيق السعادة الزوجية بدلا من الاختلاف والشجار والمشاكل .. وهو سـعيد بذلك كما تعـلم .

وتردد تتقبل أن اسأل فى توجس : لكن .. ألا تخافين من أن يكتشف مفيد امرك ذات يوم ؟ !!

سرعت بالاجابة فى ثقة وتحد : لا .. لأنه يثق بى جدا .. سيرفض ولن يصدق اية كلمة تقال عنى .. حتى ولو كانت هـذه الكلمة منك أنت أعز أصدقائه ..

علقت مستغربا : انك تتحدثين بثقة بالغة !!

واصلت تحديها هامسة : هل تحب أن تجرب بنفسك ؟ .. ان حبه الخرافى لى .. لأنى الزوجة النادرة .. وثقته الكاملة بى .. يجعلانى قادرة ليس فقط على ان يخسر صداقتك .. بل على قتلك والشرب من دمك عندما تحكى له عيونى الدامعة عن نذالتك ووحشيتك وكيف اسـتدرجتنى الى مكتبـك وأغلقت البـــاب على محــاولا الاعتــداء على و .....

وارتعـدت أمام تلك الكميـة المهـولة من الشر والكذب الذى تختزنها تلك المرأة .. لم استطع الاستمرار فى سماعها .. نهضت واقفا بعد أن حملت حقيبتى التى أتيت بها منذ دقائق .. أسرعت الى الباب خارجا ولم يزل لكلمـاتها وقع احتراق الشجر الأخضر يلاحقنى ويرتجف له كل كيانى .. قاصدا المكتب الرئيسى لأعتـذر عن قبول هذه الترقيـة .

تمـت

« الوحش اصـــله ابو ذنيبـــة » *

الصـــباح الأول :

أخرج رجل مديد يضع على راسه قبعة تخبىء جبهته وحاجبيه اخرج مدية حادة .. كانت تلمع تحت أشعة شمس الربيـــع .. سحابات بيضاء كانت ترصع سماء الحديقـــة .. رائحة زهـــور الليمون تعبق جو الحديقة .. العصافير تغنى فى فرح .. فى حبـــور فجأة سكتت العصافير .. كأن التيار الكهربائى قطع .. كأن هناك غـــارة ليليـــة .

بعد ثوان .. استأنفت العصـــافير الغناء .. الأســـماك فى جدول صغير .. وابو ذنيبـــة معهم .. يهز ذيله فرحا .. بطنـــه كبير .. ذيله قصير .. كان يرقص .. كانه فى عيد ميلاد .. كان يهز ذيله ثم سكن فجأة .. لم يعد يتحرك .. كأنه صعق عنـــدما سمع صاحب القبعة الغريب يقول لصاحب الحديقة : هذا ســـمك موسى ... !!

ويرد صاحب الحديقة الطيب مبتسما .. معتقدا بســـذاجة الرجل الغريب : انه ابو ذنيبة ويصر الغريب بانفعال : انه ســـمك موسى .. ان له سعرا فى بلادنا !!

---

* نشرت بجريدة الخليج سنة ١٩٨٧

ويهز صاحب الحديقة الطيب رأسه مستنكرا بشدة : لا .. انه أبو ذنيبة .. عندما يكبر يصير ضفدعة ..

اغتاظ الرجل الغريب .. أخرج مدية حادة من تحت معطفـة الجلدى .. كانت تلمع تحت أشعة شمس الربيــع .. سحابات بيضاء كانت ترصع سماء الحديقة .. رائحة زهور الليمون تعبق عطرا .. تعطر جو الحديقة .. العصــافير تغنى فى فــرح .. فى حبور .. فجأة سكتت العصافير .. كأن التيار الكهربائى قطع .. لقد قطع الرجل الغريب غدرا رأس صاحب الحديقة الطيب .

هوت الرأس بجانبه على الأرض .. مشتاقة هى لتقبيــل الأرض .. تدفق الدم .. ارجوانيا بلون شمس غروب ذلك اليوم .. انحدر الدم بعنف نحو ماء الجدول الصغير .. لكن صاحب الحديقة لم يتهاو .. لم يسقط على الأرض .. ظل ثابتا فى الأرض .. دفعه الرجل الغريب أكثر من مرة والخوف يدفعه .. والجنون يملأ عينيه الحمراوين .. لكن صاحب الحديقة لم يتزحزح .. لم يسقط .. فقط ظل رجلا بغير رأس .. بعد ثوان أستأنفت العصافير الغناء .. لا .. لم تكن تغنى .. كانت تبكى .

الصباح الثانى

كان الضباب الكثيف يمــلا أرجاء الحديقــة .. ورقة نشاف هو .. جفف رائحة الليمون .. امتص تغريد العصافير .. جمــد دم صاحب الحديقة .. تحــدى شــمس الربيــع فهزمت ..لم يبــق ممن يغنى الا أبو ذنيبــــة ..

فى ماء الجدول .. توقف عن هــز ذيله .. صمت فجــأة .. كأنه سقط فى النوم .. ثم حرك رأسه .. حركات منتظمة كبندول الساعة .. من أعلى الى أسفل كانت الحركات .. كأنه يفهم .. كأنه يعى كلام الرجل المديد ذى المدية والقبعة .. اعتقد هو الآخر أنه سمك موسى .. برقت عيناه عندما لمح الدم المتدفق يقترب من ماء الغدير .. اندفع نحوه .. شرع يلعق .. لم يكتف .. راح يشرب لم يرتو .. اخذ يعب ويعب .. بينما كان يهز رأسه .. هــزات منتظمة كبندول الساعة .. من أعلى الى أسفل كانت حركات رأسه كأنه فهم كل شىء .

وكبر أبو ذنيبة .. لكنه لم يصر ضفدعة .. ظل ذيله كما هو بطنه الكبير كما هو .. رأسه كما هى .. لكنــه نما .. صــار كبيرا فجأة .. أحس بالتعب .. شــعر بالارهاق .. همــد .. تربعت على شفتيه ابتسامة .. داعب جفنيه النعاس .. لكنه لم ينم .. أخرج رائحة .. رائحة من نوع خاص .. رآها النــاس ضبابا .. لم يعرف أحــد من أين أتى هذا الضــباب !! .. كان الضباب الكثيف يملأ أرجاء الحديقة .. كل الحديقة .. ورقة نشاف هو .. جفف رائحة زهر الليمون .. امتص تغريد العصافير .. جمد دم صاحب الحديقة .. تحدى شمس الربيع فهزمت .. لا .. لم تهزم .. كانت مخنوقة .

الصــباح الثــالث :

أشرقت شمس فى سماء الحديقة .. كانت شمسا باهتة ..

لها شارب كبير تهدل على فمها .. دهش الناس .. لم يصدقوا .. دعكوا عيونهم الوسـنانة .. ظنوا أنها القيـامة .. تحركت العيون الى السماء .. سقطت القلوب تحت الأرجل .. الجسد لم يعد ينزف دما .. تغير لونه .. تحول الى شيء آخر .. شيء ماسي الصـلابة .. احتار النـاس فى تفسـير ماهيته .. قـال بعض ((الجيولوجيين)) : انه رأس جبل مدفون .. قال بعض الصوفيين : ــ والعلم عند ربى ــ هو رمح سيدنا آدم عليه السلام.. قال علماء الآثار : انه آثار قديمة من عصور ما قبل التاريخ .

وتساقطت زهور الليمون الواهنة .. تجمعت كالفراشـات المترنحة فوق الرأس الملقاة على الأرض .. غطتها وكستها تماما .. همست لها بشيء يتحرك فى هذا العالم .. باحت لها بسر خطير .. ارتعشت الرأس .. خرجت منها أنات خافتة .. من بين شفتيها .. نفضت عنها .. كل شيء .. استطالت الأنف .. صارت منقارا .. امتدت أذناها .. نبت بهما ريش .. صارتا جناحين .. رف الطائر الجديد بجناحيه .. انطلق فى الفضاء .. صرخ صرخة هزت المكان كـله .

أسرع أبو ذنيبة الى اعماق الغدير ليختبىء .. لكنـه كان كبيرا .. مثل الخروف كان حجمه .. لم يستطع الماء أن يغطى كل جسده .. بقى منحسرا عنـه .. رآه النـاس .. أسرعوا نحـو الحديقة .. فتحوا ابوابها .. فى عيونهم دهشة .. فى أجسادهم رعشة .. فى خطواتهم عثرة .. لكنهم تقـدموا .. اندفـع الطائر الغريب بعيدا .. بعيدا نحو الشمس .. كانت شمسـا باهتة ..

لها شارب كبير تهدل على فمها .. دهش الناس .. لم يصدقوا .. دعكوا بقوة عيونهم الوسنانة .. ظنوا أنها القيامة .. تحركت العيون نحو السماء .

الصباح الرابع :

هب الصمت .. سكنت الأشياء .. هرب الرجل الغريب .. خرج من الباب مسرعا .. عندما قابله الناس شاهدوه مذعورا .. كان حلقه جافا .. انفه يخرج دخان الغضب والخجل .. أشاع ان داخل الحديقة وحش غريب .. غذاؤه الدماء .. قالوا كأنهم عرفوه : الخفاش ؟!!

قال : لا .. بل سمك موسى جديد .

قالوا : كيف عرفت ؟

قال : بطنه كبير .. يهز ذيله .

كبر ابو ذنيبة .. صار فى حجم الجاموسة .. القرويون يتفرجون .. لم يزل يهز رأسه .. هزات منتظمة كبندول الساعة .. انه يفهم كل شىء .. لقد وعى كلام الرجل المديد ذى المدية والقبعة .. تربعت على شفتيه الزرقاء ابتسامة مضطربة .. بينما كانت عيناه فى قلق تتابعان الطائر .. كان يحلق فى سماء الحديقة .. لا يفارقها .. يحوم حولها .

اراد الوحش ان يقتلع الجسد من الأرض .. همس لنفسه « ان الطائر روح هذا الجسد .. لو خلعت الجسد لذهبت الروح

واختفت » .. لكنه فشل .. كان الجسد كسكين حادة .. مزقت جسده عندما اقترب منها .. اقترب الطائر من عينيه المفتوحتين .. رف بجناحيه الكبيرتين .. خاف .. انكمش .. فكر .. لابـد أن أصل الى الطائر فى السماء .. فى آخر الدنيا .. لابد أن أنمو .. أكبـر ..

التهم الحشائش ونما .. التهم أشجار الليمون كلها ونما .. شرب كل الماء ونما أكثر .. فتحت شـهيته .. نظر عبر سـور الحديقة .. لعق شفتيه بلسانه المشقوق متلمظا .. كان هنـاك القرويون .. ملأ حجمه كل الحديقة .. القرويون خارج السـور يتفرجون .. يتهامسون بخوف : لقد حبسناه داخل سور الحديقة الطينى .. لن ندعه يخرج ليخيف أطفالنا .. ربما أكل زرعنا وشرب كل مائنـا .

وهو يسمع من تحت عينيه .. ويرى بآذانه .

الصـباح الخـامس :

قال ملك الهكسوس فى صان الحجر .. فكر .. فكر بخبث أولا قبل أن يقول لملك الفراعنة فى الصعيد الأعلى ــ على بعـد أكثر من ألف كيلو متر ــ ان صوت تماسيح بحيرتك يزعجنى ..

هنا تذكر ابو ذنيبة ذلك .. ابتسم بخبث .. ثم قال بعد أن وارى ابتسامته : ان صـوت القرويين يزعجنى .. منظرهم خـارج سور حديقتى يقلقنى .. يبدد أملى ..

ثم فاجأهم بانسيابه كالماء عبر السور الطينى .. التهم بعض المزروعات .. تقهقر القرويون .. عيونهم المستديرة نحو السماء .. الطائر يرى .. صرخ صرخة هائلة .. هبط .. حل بالجسد .. تحرك الجسد عندما اكتملت له الراس .. تذكر يوم المدية .. تذكر يوم الدماء .. هاج .. راح يقاوم الوحش بضراوة وعنف .. أحس الوحش بالارهاق .. همد جسده .. نام فى الحقول الواسعة .. تجمع القرويون بعيـــدا عنه .. فى قلوبهم ســـعير .. ولكن عيونهم المستديرة لم تزل معلقة بالسماء .. كأنهم على موعد مع الملائكة .

تمــــت

صاحت الأم بمرارة اقرب الى اليأس : الى متى سترفضــين الزواج ؟!! لقد تجاوزت الثلاثين ، اجابتها ابنتها بهدوء مســتفز ، بينما كانت تضع اللمسات الأخيرة « لمكياجها » أمام المرآة : ملما .. حبيبتى .. لا تقلقى .. أنا لم أخلق لمثل تلك الحياة التقليدية .. لا تنسى أن ابنتــك من أنجــح مذيعــات التليفــزيون .. وليس لدى الوقت الكافى لتحمل مسئوليات الزوج والأولاد ..

واستفسرت الأم ساخرة : ومتى سيكون لديك هذا الوقت ؟ .. عندما تحالين الى المعاش ؟!!

اطلقت ابنتها ضحكة مرحة جريئة تمايلت لها أعمدة البناية التى تقيم فيها ، ونهضت من مواجهة المرآة ، وواجهت أمها قــائلة فى توضيح : ماما .. ان طموحى اكبر بكثير من « أمــرك وحاضر يا سى الســيد !! » .

أشاحت امها بعيدا عنها بوجهها الغــاضب المســتهجن وهى تقول : ليتها دامت تلك الأيام ولما جرؤت أنت ومثيلاتك على رفض الزواج والتمــرد عليــه .

بأصابعها الرقيقة راحت تقلب صفحات مفــكرتها لتلقى نظرة سريعة على مواعيد اليوم قبل أن تغادر الى مبنى التليفــزيون ، ثم

رفعت رأسها وهمست الى أمها مازحة : قولى بصراحة .. هل لديك عريس جـديد ؟

رد تفى استسلام : طبيب .. شاب ناجح ولديــه مستشفى خاص .. ودخله ممتاز .. وأخلاقه ممتازة و .. ..

وقبل أن تكمل قاطعها رنين الهاتف فمـدت يدها اليه رافعـة السماعة ، وكان على الطرف الآخر المخرج التليفزيونى النشيط الذى تشترك معه ابنتها المذيعة نبيلة ناجى ، فى تقديم البرنـامج التليفزيونى المثير « الكاميرا معهـــم » حيث يصطحبان « الكاميرا » الى الأمــاكن المختلفة لتسجيل الأحداث المثيرة والغريبة ، فمرة داخل غواصـــة تحت الماء ، ومرة فى طائرة فوق السحاب ، أو مع عمال المناجم تحت الأرض ، أو وسط زحام الأسواق ، او فوق قمم الجبال والثلوج ، أو داخل السجون مع المجرمين وفى قاعات المحاكم .. ومهما اختلفت الآراء حول الأسباب الحقيقية لنجاح هذا البرنامج بين الجمــاهير بصورة لم يسبق لها نظير مما جعله ينتزع العديد من الجوائز وشهادات التقدير .. الا أن النقاد اجمعوا على أن هنـاك عاملا مشـــتركا بين أسباب النجاح وهو ذلك الحضور التليفزيونى الرائع الذى وهبت به مقدمة البرنامج نبيلة ناجى ، وكان هذا الرأى العلنى من قبل النقاد كبار السن أو المتزوجين من زوجات غيورات ، بينما النقاد الأحرار والذين لم يتزوجوا بعد كانوا يفصحون بصراحة وجراة على الصفحات الفنية للمجلات والجرائد وهو أن مقدمة البرنامج لديها أجمل وأرق شفتين فاذا ما بزغت من بينهما ابتسامة واحدة أمكنهـا أن تضىء

غابة استوائية كاملة حتى الجـذور ، كما ان صـوتها الرقيق الرائق يمـكن للطبيب النفسى وصـفة كعـلاج لبعض مـرضى القـلق والاكتئاب ، لأنه على حد تعبيرهم أكثر رقة وعذوبـة من انسـكاب الضوء الصباحى البكر بين شفاه زهرات البستان الحالمة ، ثم أن عينيها السوداوين الطاهرتين توهمان كل مشاهد على حدة بأنهمـا تنظران اليه وحده وتبتسمان له هو دون غيره فيستحيل الى أسـير لهما نشـوان بمتابعتهمـا .

لكن تلك الناقدة الفنية الشابة لم تلتفت الى كل ذلك ، وتجاهلته بل وأنكرته ، واكدت أن الأماكن الغريبة التى تتجول فيها (الكاميرا) وكذلك الاحداث المثيرة هى وحدها التى تشد المشاهد ، لأن المشاهد مهما كبر ونضج يبقى فى اعماقه ذلك الطفل الذى يحب المجهول ويأسره عالم الغرائب وليست العيون السوداء كما يدعى البعض ..

وتبتسم نبيلة ناجى بثقة زائدة فى وجه تلك الغـيرة وتهمس لنفسها مؤكدة بأن الرجل العزب هو أصدق من يحكم للمرأة .. ومع تلك الثقة تتضخم وتتفاقم عبادتها لجمالها ونجاحها فى عملها ويتورم طموحها بشكل سرطانى يغذيه هذا الانبهار المجنون من قبل الآخرين بها ، واستهانت بكل شىء آخر عداه ، وترسب فى أعماقها أن مجرد التفكير فى الزواج والأولاد هو من قبيل الجريمة ، لأنه سيكون بداية النهاية والزوال لهذا العرش المطعم والمزخرف بالجمال والنجاح ، فهى لم تخلق كغيرها من النساء .. هى وجدت لتتألق .. لتبهر الجميع .. لتكون الحلم اللذيذ لكل المفتونين بها .. لترتعش سعادة وهى تسمع

همسات رقيقة متعثرة عبر ((التليفون) من معجب تتوهج نبراتــه الخجلى بعشق مكبو ت.. لتقرأ رسالة مفعمة بآلاف الكلمات التى توشك ان تنصهر فوق الورق لعنف ما بها من أنفاس عشق هجيرية هى لم تخلق الا لــ ...

وتقطع الأم عليها تلك السباحة التى أدمنتها فى بحر طموحها ، ومدت يدها حاملة سماعة الهاتف وهمست اليها بغير رضا ولاترحيب : محمود علام .. المخــرج !!

انتزعت السماعة بسرعة ولهفة وسألت مشتاقة : خيرا يا محمود هل من جديد ؟!!

وجاءها الصوت على الطرف الآخر يحثها على النزول والمجىء على وجه السرعة ، لأن هناك حادثا غريبا .. امرأة فقدت وجههــا فى المــرآة ..

واعتقدت نبيلة أن محمــودا يمازحها كالعــادة فردت عليــه ضاحكة : الم تعثر عليه بعد ؟ !!

فشدد بلهجة جادة وحازمة : من فضلك يا نبيلة .. أنا لا أمزح .. بالفعل حدث هذا منذ ثلاثة أيام .. جلست سيدة متزوجة امام المرآة لتضع ((مكياجها) .. وفجأة .. اختفى وجههــا من المرآة ، ولم تعد ترى غير جسدها فقط .. رغم ان الجميع يرون وجهها الا هى .. أرجوك يا نبيلة بسرعة .. اننى اتوقع لها أن تكون من اقوى حلقات البرنامج .. لقد جهزت كل شىء حددت المواعيــد ..

ومعد البرنامج جهز كل الأسئلة التى ستطرحينها على مختلف الشخصيات المقترحة لتغطية هذا الحدث .

ووضعت السماعة بعد ان أكدت له أنها ستكون عنده خلال دقائق .. ونهضت فى الحال متجهة الى الباب ملوحة الى امها بيدها فى سعادة طفلة : الى اللقاء يا ماما .. سبق تليفزيونى خطير .. المراة التى فقدت وجهها ..

مطت أمها شفتيها متحسرة وتنهدت موبخة : أخاف من ذلك اليوم الذى يعملون فيه برنامجا عنك أنت .. عن المراة التى فقدت عمرها !!

وكأنها لم تسمع ما قالته امها فاندفعت خارجة دون أن تعلق .

وخلال ايام كان هذا الحادث محور اهتمام الجماهير العريضة والمسئولين رفيعى المستوى ومع ان بعض الصحف قد اشارت اليه وحاول البعض تغطيته الا أن فرحة الناس واهتمامهم قد تواثبا امتنانا وبهجة عندما قطع التليفزيون ارساله ليعلن للمشاهدين أن المذيعة نبيلة ناجى والمخرج النشيط محمود علام قد تمكنا من متابعة الحدث أولا بأول ، وسيذاع البرنامج بصورة استثنائية مساء الليلة بعد نشرة الأخبار .. وفى الحال رنت اجراس الهواتف فى مختلف المنازل بالاعتذارات عن المواعيد السابقة استعدادا لمتابعة البرنامج .. وبدا الجميع يعودون الى بيوتهم مبكرين .. أمست الشوارع والطرقات شبه مظلمة على غير عادتها فى مثل هذا الوقت وذلك بعد أن سرت اشاعات قوية مفادها أن حالة السيدة ليست

فريدة وخاصة بها وحدها بل هو وباء وهناك اعدادا كثيرة غـيرها ولكن السلطات بالدولة تتكتم على تلك الأخبـار حتى لا تثير ذعر الناس .. وتحسبا لازعاج الأطفـال وقت اذاعـة البرنامج قامت الأمهات بتجهيز طعام العشاء وعمل ((السندوتشات)) السريعة لهم وتربص الجميع .

وعندما بدأ البرنامج .. فوجىء المشاهدون بالسيدة تجلس كاحدى ملكات جمال الأساطير اليونانية القديمة يزيدها جمالا تلك الهالات من الحزن والندى العالق بعينيها الخضراوين وذلك الاشارب الرقيق الأسود الذى تلف به شعرها وبجوارها جلس زوجها يتحدث الى مقدمة البرنامج التى تلاشى سحرها فجأة بجوار جمال ضيفة البرنامج المصابة .. وواصل الزوج كلامه فى كثير من التأثر عن كيفية اكتشاف الحالة عندما كانت زوجته تجلس أمام المـرآة فى حجرة النوم صباحا لتتم ((مكياجها)) وكان هو فى الحمام يحلق لحيته عندما هزه سماع صرخة مفاجئة من زوجته مما جعـله يقبل عليها مهرولا دون أن يتم حلق بقية لحيته واذ بها تتمـزق باكيـة وتهمس دهشة لم أعد ارى وجهى !.. لم اعد أرى وجهى !.. وفى الحقيقة حسبت ذلك من قبيل المزاح .. ولكن مع اسـتمرارها فى بكائها المقهور صدقتها ، واصطحبتها فى التو الى أطباء العيـون الذين اجمعوا على سلامة مركز الابصـار فى المخ وقاع العين واعصابها والشكية وكل شىء حول العين .. وقرر جميعهم أن السبب نفسى و وقاطعته نبيلة ناجى : وهل عرضت على طبيب نفسى ؟

تنهد الزوج مواصلا حديثه : بالطبع .. ذهبنا الى الطبيب النفسى الذى أكد أن هذه حالة غريبة وشاذة وتحدث لأول مرة .. وان المعروف لديهم هو العمى ((الهستيرى)) ويكون العمى فيه كليا وليس جزئيا .. ونصحنى بمراجعة احد الأطباء النفسيين فى امريكا ولكن ..

وقطع اللقاء معهما وانتقلت ((الكاميرا)) فى الحال الى السيد وزير الصحة وسألته نبيلة ناجى عن صدى هذه الحالة الغريبة لدى الوزارة .. فتململ الوزير عدة مرات وحاول بصعوبة انتزاع عينيه المتوغلتين فى وجه نبيلة ناجى المتألقة ، وبعد ان استجمع ملامح الجدية وثبتها فوق وجهه عندما ضغط باصبعه على منتصف نظارته ثم قال : فى الحقيقة وفى الواقع .. بمجرد أن نما الى علم الوزارة هذا الخبر الغريب أعلنت على الفور حالة الطوارىء فى القسم الوقائى بالوزارة .. وخاصة بعد أن سرت اشاعة قوية بأن هناك حالات أخرى وأن الأمر ليس مجرد حالة واحدة .. وقررنا أن تقوم الوزارة فورا عبر المستشفيات والوحدات الصحية المنتشرة فى طول البلاد وعرضها بتوزيع مرايا ثم استيرادها من الخارج بالطائرات ـ على كل المواطنين والمقيمين والسياح الذين يزورون بلدنا المضياف تحسبا من أن تكون تلك الحالة مقدمة لمرض معد أو وباء ، وذلك حتى ينظر كل فرد بين وقت وآخر الى وجهه فى المرآة ليتأكد أنه لم يزل موجودا والا اخطر الوزارة فى الحال وقد تم انشاء غرفة عمليات للمتابعة تعمل بكفاءة طوال الأربع والعشرين ساعة و ..

وقاطعته نبيلة ناجى فى اهتمام : وهل تم الابلاغ عن حالات اخــرى ؟

هز الوزير راسه افقيا بالنفى : حتى الآن .. لم يصلنا أخطار عن حالات جديدة ..

وكأن نبيلة تعبر عن احساس المشاهدين عندما بدأ عليهــا الارتياح لهذا التصريح فأضافت بعــد أن أشرقت من بين شــفتيها ابتسامة حلوة تكهرب لها اسيادة الوزير : سيادة الوزير .. لقــد نصح بعض الاطباء النفسيين هنا أن اقــدر الأطباء النفســيين فى العالم على علاج هذه الحالة هو طبيب أمريكى اسمه ..

وتوقفت للحظات تطالع الورقة المفردة أمامها .. ثم رفعت راسها مواصلة : اسممه الدكتور « أيو تى » فهل يمكن للوزارة من جانبها أن تساعد فى هذا الشأن ؟

هز الوزير راسه عموديا بحماس شديد ومؤكدا : بالطبع .. بل أكثر مما يتوقع منا الجماهير .. ولكى نضع حدا لهذا الفزع وتلك الاشاعات ، فاننا لن ننتظر حتى تسافر السيدة اليــه .. أو أن يأتى هو الى هنــا .. بل سنستفيد بالتقــدم العلمى فى مجــال الاتصالات .. وسنقوم بعرض السيدة عليه عبر الأقمار الصناعية مباشرة مهما تكلف ذلك .. و حتى نضع حدا للقلق حتى يتفرغ الناس الى أعمالهم وزيادة الانتاج .. وحتى نحول دون انخفاض عدد السياح الأجانب الى وطننا بعــد أن روجت وكالات الأنبــاء المعادية الاشاعات المغرضة ..

واستدارت المذيعة الموهـوبة نبيلة ناجى بابتسـامتها الآسرة تخاطب المشاهدين المترقبين فى خشوع تام : أحبائى المشاهدين .. وبعد تضافر الجهود المخلصة بين السيد وزير الصحة واخيه السيد وزير الاعلام أمكن الاتصال عن طريق الأقمار الصـناعية بالدكتور الأمريكى المعجـزة دكتـور « ايو تى » وكان برنامجـكم المفضـل « الكاميرا معهم) موجودا لحظة الاتصـال وتم تسجيل هـذا اللقاء الذى تم صـباح اليـوم ..

وظهرت السيدة صاحبة الحالة يلف شعرها نفس الايشارب وعلى شاشة كبيرة ظهر احد الأطباء كبار السن أشيب الشعر يضع نظارة شفافة فوق عينيه و « بايب) فى جانب فمـه يقبض عليـه باصابع يده اليسرى ويركز باهتمام لسـماع المذيعـة نبيلة ناجى تحدثه بالانجليزية التى تنطقها بطلاقة .. وبعد أن حيته وأعطتـه مختصرا سريعا عما تم بخصوص الحالة سائلة المشورة والعلاج .

انتزع الدكتـور « ايو تى » « البايب) من بين شـفتيه ثم قال : هل يمكن « للكاميرا) أن تقترب جدا من السيـدة ؟ .. هل يمكن للسـيدة أن تقف ؟

ووقفت السيدة .. فظهرت له وللمشاهدين آيـة من آيات الجمال والتناسق والتكامل الجسدى الأنثوى .. وحملق المشاهدون من الرجل حملقة النساء لسيدنا يوسف عليه السـلام واستجابة لطلب الدكتور راحت « الكاميرا) تكبر الصورة ابتداء من قدميهـا مرورا بوسطها وصدرها ، وعندما وصلت (الكاميرا) الى وجهها

طلب التوقف للحظة ، ثم طلب من السيدة أن ترفع الغطاء عن رأسها ولكنها رفضت ذلك باصرار .. وبعد اقناع ورجاء من زوجها ومقدمة البرنامج تمكن زوجها من رفعه بصعوبة ، وطلب الدكتور منظرا مقربا جدا من رأس السيدة ، ثم شعرها .. هز الدكتور رأسه عدة مرات كأنه اكتشف شيئا ما وسأل زوجها : متى تزوجتما ؟

اجاب الزوج متذكرا : منذ خمس عشرة سنة تقريبا .

ـ هل لديكم أطفـال ؟

ـ للأسف لا ..

ـ لماذا ؟ اقصد هل هناك سبب عضوى ؟

ـ لا .. أنا وزوجتى صالحان للانجاب .. ولكن تلك هى رغبة قوية عند زوجتى .. انطلاقا من حفاظها الشديد على جمالها وتناسقها .. ولقد حاولت دائما اقناعها بضرورة الأطفال فى حياتنا .. ولكنها رفضت باصرار وجعلت دونه الطلاق .. ولأنى أحبها قبلت رأيها .

ـ وهل ستظل تحبها هكذا الى آخر العمر ؟

ـ طبعا .. الى آخر العمـر

ـ حتى ولو صارت عجوزا بيضاء الشعر ؟

ـ حتى ولو صارت عظاما فى قفة كما يقولون

ـ أليس جمالها وحده هو سبب حبك لها ؟

ـ ليس وحده بالطبع .. لأنى أحببت جمال روحها قبل ان أحب جمـال جسـدها .

ثم أشار الطبيب بأصبعه الى رأس زوجته مخاطبا الزوج : هل رأيت هذه الشعرة البيضاء التى زينت رأس زوجتك ؟

وكان الزوج سريع البديهـة والذكاء عنـدما نهض ينظر الى رأس زوجته التى حاولت بسلوك لا ارادى وضع يدها فوق المكان الذى توجد به الشعرة البيضاء لكنه سحب يدها برفق ورقـة ثم مال عليها وراح يلثم الشعرة البيضاء قائلا فى صـدق واخلاص شديدين : ما أجملها انها تشبه الفضة النقية .. لقد زادت شعر رأس زوجتى جمـالا .

وفطنت نبيلة ناجى الى ما رمى اليه الدكتور فرجته أن يوضح للسيدة والمشاهدين ان كان قد تم تشخيص الحالة بالفعـل .. فأجابها بثقة لا يتسرب الشك اليها وكأنه يمارس فى نفس الوقت اسلوبا ايحائيا مع مريضته : بكل تأكيد .. واضح أن السـيدة الفاضلة حريصة كل الحرص على جمالها وتعتبر أنه كنزها الأوحد الذى يجعلها محل ابهـار للجميع وحب أبدى من قبل زوجهـا ، واستطيع أن أقول بكل ثقة وتأكيد أن هذه الحالة تعتبر صـورة مكثفة ومركزة جدا من حالات النرجسية .. وبين لحظة وأخـرى كانت السـيدة تطمئن على كنزها عبر المرآة .. معتقدة اعتقـادا خاطئا بالطبع أن جمالها سيظل باقيا الى الابـد ولذلك ضحت بالأولاد فى سبيل ذلك لكن التغير سنة الحياة على ظهر كوكبنا ..

وفى صبيحة اليوم الذى وقع فيه الحادث نظرت السيدة الى جسدها الممشوق فى المرآة وسعدت به لأنــه لم يزل باقيــا على روعتــه وتناسقه لكنها عندما جلست الى المرآة لتمشط شــعرها عن قرب صعقت عندما رات تلك الشعرة البيضاء تسرق هذا الجمال للتى ضحت من أجل الحفاظ عليه بأغلى شىء على المراة وهم الأولاد .. فكانت مثل الرجل البخيل جدا الذى بخل على نفسه وأسرته حتى يكنز المال وفى آخر عمره وبعد طول الحرمان الذى عاناه من أجــل هذا المال يفاجىء بسرقته فرد الفعل الطبيعى لمثل هذا الانسان أن يفقــد عقــله .. لكن الســيدة كان يمكنهــا أن تصــاب بالعمى ((الهستيرى)) الكلى بحيث تفقد القدرة عل ىالابصار تماما .. لولا اصرار عقلها الواعى على جمال القوام فتدخل اللاشعور ليخــلق حالة من التوازن النفسى عند السيدة فأوهمها بأنها لم تعــد ترى وجهها وشعر رأسها فقط بينما ترى باقى جسدها الجميل .

وسألته نبيلة ناجى وهى مأخوذة بهذا التحليل : دكتور .. هل تقترح علاجا لهذه الحالة ، أجاب الدكتور بثقة زائدة وهو يركز بصره الى ((الكاميرا)) حتى بدت نظراته جادة ومقنعة : ما دامت السيدة قد عرفت السبب الحقيق ىوراء حالتها .. هذا هو العلاج لأن العقل الواعى ستزداد سيطرته على العقل الباطن أو اللاشعور بحقيقة الأمر وسيتوقف عن ايحائه الى أعصاب العين بالتوقف عن رؤية الرأس والوجه .. ويمكن احضار مرآة الآن للسيدة وسترى وجههــا فى الحــال .

وجىء بالمرآة .. ونظرت السيدة .. وتوقفت القلوب عن النبض متابعة لوجه السيدة .. انفجرت السيدة فرحة ملتاثة غير مصدقة .. ونهضت تعانق زوجها فرحة امام ((الكاميرا)) والمشاهدين ، غير عابئة بكل من حولها .. ثم تقبلت المذيعة التى كانت تلتمع هى الأخرى سعادة لأن ((كاميرا)) برنامجها سجلت تلك اللحظات المثيرة .. وانسحبت السيدة مع زوجها من أمام ((الكاميرا)) بعد أن كلت الألسنة من شكر الطبيب العبقرى .. واستدارت نبيلة ناجى الى الدكتور تسأله النصيحة لكل المشاهدين حتى لا تتكرر مثل هذه الحالة مرة أخرى .. ففاجأ المذيعة والمشاهدين بأنه يتكلم اللغة العربية بطلاقة العرب انفسهم وقال : يجب أن يقلع كل انسان عن هذا العشق الخرافى لذاته وخلال مرحلة معينة من حياته .. والانسان السوى هو الذى يعشق جميع مراحل عمره ويعد نفسه لكى يحيا المراحل القادمة .. لأن الحياة لا تتوقف طوعا لرغبة الانسان .

وبعد ان أسهب فى التوضيح توقف للحظات حتى يسمع تعليقا أو سؤالا من المذيعة .. وركزت عليها ((الكاميرا)) ولكنها كانت شاردة تماما .. وحاول المخرج تنبيهها بالاشارات فلم تستجب فاضطر لرفع صوته حتى سمعه المشاهدون عبر أجهزة التليفزيون .. وأخيرا أفاقت وتداركت الموقف بسؤال كان بالفعل يلح على اذهان المشاهدين رغم انه لم يكن معدا سلفا : دكتور .. لقد فاجأتنا بأنك تجيد العربية ؟!

وضحك الدكتور دهشا : اجيد العربية ؟!! .. اننى عربى .. انا الدكتور متولى العيــوطى .. من صــعيد مصر .. جئت الى امريكا منذ ثلاثين سنة .. حصلت على الدكتوراه .. وبقيت هنا للعمل .. والآن كما تعلمون انا رئيس قسم الطب النفسى بأكبر جامعات أمريكا ..

وعبرت نبيلة ناجى عن دهشة المشاهدين أيضــا وسألت : لماذا تركتنا يا دكتور نتكلم معك بالانجليزية ؟

فابتسم وقال : هذا جزء من العلاج .. فمعظمنا نحن العرب تتحكم فينا عقدة الخواجة التى خلفها لنا الاســتعمار .. فما دام الطبيب اجنبيا فهو موثوق به وبعلاجه .. وانتم تعلمون أن العلاج النفسى يقوم أساسا على ثقة المريض فى الطبيب ..

ووسط الفرحة والاثارة والاطمئنان واعجاب المشاهدين بتلك الحلقة حتى اعتبرها البعض انجح الحلقــات .. تســابقوا الى (التليفونات) ليشكروا ويهنئوا مقــدمة البرنامج . لكنهم لم يجودها .. فقد كانت مشغولة جــدا باعداد برنامج خاص جــدا بها .. برنامج زواجها هى .

تمــت

رسالة من زميلى بمدرسة بحر البقر *

قلبى ثقيل .. يوشك ان يشدنى الى الأرض .. جاذبية اخرى تضاف الى جاذبية الأرض .. ياه .. اكثر من قانون يود الصاقى ببلاط حجرة الدراسة .. ولكن نفضت يدى واصابعى المتآكلة من اثر الطباشير .. القيت بكل جسدى فوق كرسى مكتبى .. تركت الأطفال ينقلون من على السبورة فى كراساتهم الجملة التى كتبتها .

وضعت راسى بين كفى .. حادث أليم .. الثعبان السام لا يقتل الانسان النائم .. حتى الوحوش فى قلوبها رحمة .. ما ذنب الأطفال !! .. يضربونهم بالطائرات .. هذا جبن ..

زاد همس الأطفال .. تفاقم لغطهم .. احسست بأن لغطهم صار رحاة تطحن راسى الساخن .. صرخت .. ضربت المكتب بكفى فى ضيق : توقفوا عن هذا الكلام .. اكتبوا فى صمت .

انقطع همس الأطفال .. ماتت كلماتهم .. دفنت بين شفاههم .. استحال الصف الى مقبرة .. مساكين يا أطفالى .. بالأمس قتلوا اخوانكم .. واليوم .. أو غدا لكم ..

---

* نشرت بالبيان ــ ١٢ مايو ١٩٨٨

سمعت صفعات متتالية على باب الحجرة الموصد .. صرخت متبرما : ادخل .. انفرج الباب .. برز الفراش .. لم أهتم به أول الأمر .. لم ارفع رأسى المنكسة بين يدى .. دفع بخطاب فى وجهى ثم تمهل قبل أن يفح هامسا : خطاب لك يا استاذ ..

رفعت عينى نحوه لأشكره .. ولكن .. هالنى ذلك الاحمرار الداكن فى عينيه .. وتلك العمامة الســوداء المكورة فوق رأســه مستبدلا اياها بالعمامة البيضــاء التى عودنا على ارتدائهــا من قبـ ل.. لم أتحمل كل مشاعر الحنق والغيظ التى عصف بها قلبى فصرخت فيه بعد أن نهضت ووقفت قبلته تماما : لم ؟ .. مم ؟! .. أنت لم تعد صغيرا لكى تفعل مثل هذه الأشياء ..

ولم يجب .. رمقنى بنظرات قاسية ثم أخذ يرتعش ويرتعش شفتاه ترتجفان بعنف كأنه على اتصال مباشر بتيار كهربى .. وانسحب خارجا وأولانى ظهره واهتز الصف بمن فيه عندما صفق الباب بقوة .. رشــقته بنظرة اشمئزاز ثم استدرت جالســا الى المكتب تناولت الرسالة قلبتها بين أصابعى محاولا الاستدلال على مرسلها ، ولكن لم أعثر على اى اسم أو عنوان للمرســـل .. فلم أهتم وفضضت الرسالة .. وجـدت بداخلها ورقة خضراء كتب عليها بالمداد الأحمر ما يلى :

زميــلى العــزيز ..

اعرف أنك لا تعرفنى .. لكنى أعرفك .. كى اكون اكثــر وضوحا .. انا أعرف كل شىء عنك .. عن كل انسان يعيش فى

عالمكم هذا .. أعرف أدق الأسرار التى تحتفظ بها داخل زجاجة قلبك الشفافة بالنسبة لنا .. أنا لست ساحرا .. لست عرافا .. انا روح .. روح زميلك مدرس الصف الأول فصل اول بمدرسة بحر البقر الابتدائية .. مهلا .. لا تخف .. لست روحا شريرة جئت لأعذبك .. لكنى اكتشفت أنك قريب منى .. روحك قريبة من روحى .. قد يكون سرا ان اقول لك انها من نفس المستوى الرنينى لروحى .. نحن اذن جيران .. شقيقان .. فارق بسيط بيننا .. انت ترتدى ثياب الحياة .. أنا خلعتها .. لكن المؤكد هو ان المزاج واحد .. المصير واحد .. قد لا تفهم كلامى هذا الآن .. ولكن لا استطيع ان اوضح أكثر من هذا .. فأنت تعيش فى عالم مخالف لعالمنا .

عزيزى .. وأنت معلم مثلى ..

تعلم ان الانسان .. كل انسان .. تعتريه لحظات ضيق .. حنق على الحياة ومتاعبها .. كان ذلك هو ما شعرت به فى ذلك الصباح الذى يعرفه كل العالم .. كل عالمكم .. كنت أشعر بانقباض .. زهقان .. قرف .. لم اكن ادرى لذلك سببا .. ربما لأنى عزب واريد الزواج ولا أستطيع ؟ .. فلم يمض على تبخر راتبى المحدود ونحن لم نصل الى نهاية الشهر الوظيفى بعد ربما لأنى عزب واريد الزواج ولا أستطيع ؟ .. فلم يمض على تعيينى غير شهور قليلة .. المهم أننى دخلت حجرة الدراسة وكل اركان صدرى تفور تغلى بالتبرم والضيق والملل .. بين لحظة

وأخرى كنت أرفع ساعة يدى القديمة وأنظر فيها .. لكن العقارب كانت بطيئة جدا .. طلبت من الأطفال اخراج كتب القراءة .. فى تكاسل بدأت أقرأ .. رفعت كفى لأستر فمى وتثاءبت .. الأطفال يرددون بعدى وأنا فى غيبوبة .. لا أشعر .. لا أحس .. لا أدرك وفجأة امتدت انامل صغيرة تقدم لى وردة حمراء كبيرة .. وبرقتها المعهودة فى صوتها وحركاتها همست : تفضل يا أستاذ الوردة .

رفت رموش عينى عدة مرات .. وابتسمت وامتدت يدى الى الوردة .. بسرعة قربتها الى أنفى .. كأنها خلاصى من هذا الضيق الذى يخيم فوق نفسى وتمتمت : الله .. كم هى جميلة .. أشكرك يا عـــزة ..

حتى انت تعرفين ما للوردة الحمراء فى النفس من اثر .. لا بأس .. ستكونين فتاة ذات يوم .. ليتنى كنت صغيرا مثلك .. ربما أحببتك مثل زميلك وابن عمك علاء .. هذا الطفل الصغير الذى يجلس بجوارك فى المقعد .. دائما بينكم المودة والمساعدة .. كل معجب بالآخر .. يا لجمـــال الطفولة وبراءتهـــا .. لكن أى براءة ! .. الولد الشقى .. لمحته مرة يقبلها خلسة .. وهى تضحك كان منظرا أثار نفسى بخليط من الخوف والاعجاب والحب وربما الغيرة .. يارب ماذا أفعل ؟ .. أضربه ؟ .. أنصحه .. أتغاضى وأصمت والأيام كفيلة بعـــلاج مثل هذه الأمور ؟ .. اذن خير لى أن أصمت .

وصاح علاء .. كأنه يحســدها : أستاذ .. غدا سأحضر لحضرتك وردة أكبر من وردة عزة .. وردة حمراء يا أستاذ .

أومأت له شاكرا .. ارتاحت نفسى بعض الشىء وأنا أنظر الى الوردة الحمراء .. فى جلالها وجمالها .. ترتيبها وتنسيقها .. ابتسمت .. تذكرت .. وفاء زميلتى ونحن طلبة اعتادت أن تقدم لى وردة حمراء فى كل مقابلة .. كنا متواعدين على الزواج بعد انهاء الدراسة .. لكنها خطبت لأحد أقربائها بعد أن قدم لها حقيبــة كبيرة مليئة بالملابس المستوردة .. لأنه كان يعمل مدرسا فى احدى الدول العربية .. فوافقت على الفور .. ولم تعتذر لى بكلمة واحدة تقضب جبينى مرة أخرى .. زحزحت بصرى عن الوردة .. نظرت الى الأطفال .. عيونهم الصافية كانت ترمقنى من خلف جفــون الدهشة والاعجاب .. تنبهت الى أننى مدرس وأقف داخل حجرة الدراســة .

اعتدلت فى وقفتى .. نحيت الزهرة جانبا .. وضعتها على المكتب .. أمسكت الكتاب بقوة .. كأنه الحجر الضخم أســد به ثقب ذكرياتى الأليمة .. ورفعت عقيرتى بالكلمات .. كان صوتى عاليا جدا .. أعلى من الماضى حتى أننى لم أسمع ذلك الضجيج الذى انداح بين الأطفال .. فصرخت فيهم مؤنبا : رددوا بعدى .. لمـاذا تلك الضجة ؟!!

صاح الأطفال فى فرح : عصفور .. عصفور الجنة يا أستاذ .
حقا .. كان هناك عصــفور ملون فى حجرة الدراســة ..

دخل من نافذة مفتوحة .. حاول أن يخرج من الأخرى ولكن زجاجها
كان مغلقا .. فاصطدم بها عدة مرات .. هلل الأطفال .. ســاد
الهرج والمرج .. كل منهم يقذف بنفسه ليمسك بالعصفور .. كل
يريد عصفور الجنة .. دققت بعنف على مكتبى .. رجع الأطفال
بسرعة الى أماكنهم .. جلس كل منهــم فى مكانه ولكن عيونهــم
المبهورة مازالت معلقة بالعصفور الحائر .. وجدت نفسى مشدودا
اليه .. لونه جميل جذاب .. اقتربت منه .. لم يزل ينقر بمنقاره
على زجاج النافذة .. يريد أن يحطمها .. لكن خاف .. ابتعـد
عنى بعيـدا .. فوجىء أمامه بالنافذة المفتوحة .. انطلق منهــا
بعيدا .. يدف بجناحيه فى الفضاء الواسع .. ظللت أرقبه حتى
اختفى .. انتعشت روحى .. فركت يدا بيد منتشيا .. دم جديد
يتدفق فى عروقى .. أصبحت أشعر بخفــة غير عــادية .. رحت
أشارك الأطفال مرحهم .. الاطفهم .. أحدثهم فى أمورهم البسيطة
التى تضحكهم .. بتلقــائية ودون سابق اعداد وجدت نفسى أكتب
على السبورة « فصل الربيع أجمل فصول الســنة » وطلبت من
الأطفال اخراج كراسة المناسبات ليكتبوا هذه العبارة ــ كما تفعل
أنت الآن ــ ولمحت علاء يهمس فى اذن عزة بكلمة سريعة لم أسمعها
لكنها ابتسمت .. جذبت منه القلم الرصاص .. تمسك به ..
حاولت مرة أخرى .. انتصر عليها أيضا .. عبس وجههــا ..
انزوت مبتعدة عنه .. لكنه لم يرض بذلك .. سارع وأعطاها القلم
الرصاص .. ابتسمت عزة من جديد .. ضحكت لابن عمها ..
وواصلت نقلها للعبارة المكتوبة على السبورة .. وبينما الأطفال
جميعهم ينقلون من على السبورة .. اذ بصــوت طائرات حربيــة
يقترب ويقــترب .. ..

زميلى العزيز .. هل اكمل ما جرى ؟ .. أم أنك تعـرفه جيدا ؟ .. اعتقد ان العالم كله يعرفه .. أما أنا فقـد أحسست براحة شديدة عندما تخلصت من هذا الجسـد الضيق .. لقـد وقفت هناك بين الأنقاض .. انقاض الموت .. أرقب ما يجرى .. صنابير من دماء تتدفق من شرايين صغيرة فتحتها شظايا الصاروخ تحت الأنقاض علاء وعزة .. كل منهما قال : آه مرات قليلة .. ثم فارقت الروح الجسد .. الوردة الحمـراء سقطت من فوق المكتب متناثرة الأوراق .. بعض الأطفال يتشبث بأقلامهم الرصاص يريد أن يكمل العبارة .. لكنه لم يستطع أى منهم كتابة كلمة واحدة .. ولكن يا زميلى العزيز .. ما هذا الذى أراه .. هل جننتم ؟ .. هل استحال الدم فى عروقكم الى ماء لا ينقل الأحاسيس والمشاعر .. لقد رأيت أنا وعلاء وعزة منذ يومين عند أهرامات الجيزة الطيارين اللذين أطلقا علينا الصاروخ .. كانا يتجولان حول الأهرامات فى سلام مستمتعين .. وسمعناهم يتهامسان بأن تلك الأهرام شارك فيها أجدادهما .. وأن لهم الحق فيها .. ولذا .. نزعت روحى وعلى الفور سطرت لك هذه الرسالة علها تصل اليـك فى الوقت المناسب وتفهمها والا ...

انتفضت من نومى مذعورا .. عندما رأيت يديه تمتدان تجاه رقبتى وصرخت : لا .. لا .. لقد فهمت .

تلفت حولى للحظات .. ادركت أنـه نفس الكابوس مازال يطـاردنى .

تمـت

« رحلة فى ســيارة ماشــية » *

كان زحام السوق الكثيف يكمم أنفاس مدينتنا .. الشوارع والميادين أترعت تماما بالأجساد المتلاصــقة النازفة بالعــرق .. الغبار والأتربة التى تثيرها أرجل البشر الملتفة بأرجل وســيقان الدواب — الوافدة من القرى المجاورة — تصنع مظلة كئيبة تظلل كل الأرجاء .. شمس الضحى فى شــهر أبريل رمضت كل أشــعتها وشرعت توخز بها جلودنا .. وقفنا جميعا متأففين .. نتلفت بين اللحظة والأخرى يمينا ويسارا .. اكثر من عشرين شابا مرتدين ملابسنا الرسمية الكاملة .. ابتداء من الحــذاء والجوارب وحتى ربطة العنق و « الجاكت » .. أحسسنا بأن وقت الانتظار قــد طال .. هتف احدنا متوجسا : يبدو أن الحشاش قد ضحك علينا .

فصرخ نبيل — أكثرنا اناقة وثراء — وكان يحمل على كتفه آلة تصوير — محتجا : وهل نحن أطفال لكى يضحك علينا ؟!! .. اننا رجال بالصف الخامس لمعهد المعلمين .. والله لو فعلها لأفضحنه ولأطلب من أخى الصحفى أن ينشر هذه الفضيحة فى الجريدة ..

وقاطعة آخر : أنا دهش .. لماذا جعلنا ننتظره هنا ؟ .. بعيدا عن المعهد .. لماذا لم نتجمع بالمعهد وتخرج بنا الحافلة من

---

* نشرت بجريدة شباب بلادى — يوليو ١٩٨٨

هناك بدلا من هذا العذاب وقرف وزحام السوق ، هتف أطولنـــا محذرا : صمتا .. صمتا .. لقد وصل الحشاش .

توقف الجميع .. تلفتنا حولنا .. لم نر أحدا .. استدرنا الى الزميل فوجـدناه يكتم ضحكة .. مالبثت ان أنطلقت مجلجلة قائلا فى مزاح : يا جبناء .. يا جبناء .. لماذا خرستم وتوقفتم عن الكلام .. أتخافونه ؟

ضحك الجميع .. أوضح أحدهم : لا تنس أنه الأخصائى الاجتماعى للمعهد .. وهو أيضا فى عمر والدنا .. وواجب علينـا أن نحـترمه .

والحقيقة ان اسمه ليس هو الحشاش .. لكن ذلك مجـرد لقب اطلقه عليه الطلبة فيما بينهم وذلك لادمانه المخدرات .. فأنت اذ ارايته انما ترى مومياء نهضت لتوها من قبرها .. مجرد هيكل عظمى مقوس من أعلى ثم شد عليه جلد بشرى جـاف كالح .. ولأنه مسئول الرحلات بالمعهد ، لذا قام بتحديد هذا المكان وهـذا الزمان لكى نقوم برحلة لزيارة آثارنا الفرعونية فى المدينة المجاورة والتى تبعد عنا بخمسين كيلو مترا تقريبا .. ونظرا لأننا نتوقـع وجود الأفواج من السياح الاجانب هناك ، ولأن كلا منا يمنى نفسه بالحصول على صور تذكارية بجوار الآثار ، فقد حرص كل منـا على ارتداء افضل ما عنده ، وهو الزى الكامل الذى نذهب به لاداء مادة التربية العملية فى المدارس الابتدائية لكى نحصل على اعلى الدرجات فى المظهر من المشرفين على التربية العلمية ...

صرخ أحدنا فى تبرم ويأس : اذ لم يأت الحشاش خلال ربع ساعة .. سأعود الى البيت .. وقبل أن يكمل كلماته .. كانت تقف بمحاذاتنا سيارة كبيرة لنقل الماشية وقد علق بجدرانها الكثير من روث البهائم .. دهشنا جميعا عندما رأينا جمجمة الأستاذ حسن مسعود الاخصائى الاجتماعى والمعروف بالحشـاش تطل علينــا بعيونها الغائرة من كابينة القيادة .. وأخذ يشير الينا بأصـابعه المعانقة للسيجارة بشكل دائم .. ونادى فى عجل : هيا .. اصعد يا بنى أنت وهو .. .. أسرعوا .. لقد تأخرنا .. هيا اصعدوا لكى نقوم برحلتنا مبكرين .

ونظره بعضنا الى بعض غير مصدقين .. وغير مدركين لمـا يعنيه بالضبط .. الى أن صرخ زميلنا نبيل الذى يحمل على كتفه آلة التصوير بانفعال بالغ : ماذا تقول يا أستاذ .. حســن .. هل سنذهب الى الآثار بسيارة ماشية ؟!!

رد عليه الحشاش بحلم مصطنع : يا بنى .. يا نبيل .. ليس المهم هو نوع السيارة التى توصلنا .. المهم أن نذهب ونعود بالســلامة ..

صرخ نبيل متهكما : أو لو ذهبنا فى حافلة محترمة .. ألن تكتب لنا الســلامة ؟!! .. ضحكنا نحـن من الأسى وابتســم الحشاش أيضا وظل متظاهرا بالحـلم — وهو المعـروف بسرعة انفعاله وثورته : يا نبيل .. يا حبيبى .. لا داعى للاعتراض .. واذا لم تكن لديك الرغبة فى الذهاب معنا خوفا على ثيابك الفاخرة فلا يهم .. دع زملاءك يركبون ..

استشاط نبيل غضبا لتلك النبرة الساخرة التى كلمه بها الحشاش فصرخ متحديا : ولا حتى زملائى ..

لم يستطع الحشاش أن يستمر فى حلمه هذا .. فتح باب السيارة .. هبط منها يرتعش ثورة وتوجه الى نبيل موبخا ومهددا : هل تريد أن تجعل من نفسك قائدا للثورة .. هل تتحمل أنت هذه المسئولية .. يجب أن تعلم ان ذلك يعد من قبيل التحريض على التمرد والعصيان المدنى و ..

وطفق يسهب فى اختيار الاتهامات والجرائم السياسية التى ستلحق بنبيل وكل من يؤيده .

ولم يزدنا هذا التهديد الا هياجا وثورة حقيقية .. وراح كل منا يصرخ فى وجهه رافضا ومستنكرا .. بينما انطلق نبيل يصور بآلة تصويره السيارة من كل مكان وخاصة من الامام حيث الرقم وهو يرفع عقيرته مهددا بأن هذه الصور ستنشر غدا فى الجريدة التى يعمل بها أخوه الصحفى .. وسوف يثير كل الرأى العام .. وسيقدم عضو مجلس الشعب استجوابا لوزير التربية والتعليم (كيف يمكن اذلال معلمى المستقبل بنقلهم فى سيارة ماشية . وهم المنوط بهم فى الغد تربية أجيال الوطن على العزة والكرامة .. ففاقد الشىء لا يعطيه) .. واحتار الحشاش على من يرد .. وتجمع الناس حولنا لمعرفة سبب هذا النزاع .. وأخذتنى حمية الشباب فصرخت أنا أيضا فى وجه الحشاش : ان هذا يعد .. من قبيل النصب والاحتيال

تأخذ منا اشتراكات الرحلة .. وتحضر لنا سيارة ماشية بدلا من الحافلة .. لكى توفر جزءا من النقود لكى تشرب به المخدرات !!

ولم أدر السبب الذى جعله يترك الجميع وينقض على أنا .. بلسانه مهددا ومتوعدا برسوبى .. ثم قفز فى سيارة الماشية ناهرا السائق بالسير .. باصقا فى وجوهنا بأبشع السباب وبأن أهلنا لم يحســنوا تربيتنــا .

تمــت



هواجس خبيثة *

زفر المهندس احمد زفرة نارية متفجرة تمخض عنها أنين عذاب طويل ، بينما واصلت يداه المرتعشتان وأصابعه الباردة القبض بعنف وعصبية على مقود السيارة .. عيناه الذابلتان المرهقتان تسبحان بصعوبة واصرار فى الطريق الأسود الممتد أمامه وكأنه لا يريد أن ينتهى به أبدا الى المدينة التالية ..

حانت منه التفاتة عفوية وسريعة الى الكرسى المجاور له .. وجد الطفل قد همد وتوقف عن اللعب والحركة ، وتكور فوق المقعد وابتلعه نوم عميق ..

اثاره منظره .. رفع من حدة موجات الضيق والحنق فى صدره .. زاد تقلص جبينه حتى انعقد حاجباه متوجين لأنفه المعقوف ..

مرة اخرى لطمه الهاجس الخبيث بقسوة وبلا حياء : « يا ترى ابن من هذا الطفل ؟ ان أمه هى زوجتك وفاء .. أم بناتك الثلاث .. انه يحمل اسمك فى شهادة ميلاده بعد اسمه .. ولكن .. من هو أبوه الحقيقى ؟ .. أنت ؟ .. أم سعيد الكواء ؟ »

---

* نشرت بجريدة الاتحاد ــ ديسمبر ١٩٨٨

لم يتخيل أحمد فى يوم من الأيام أنه سيأتى يوم عليه وهو يشك فى اخلاق وسلوك زوجته وفاء التى تزوجها بعد قصة حب متبادلة .. وبعد الزواج عاش معها سنوات جميلة سعيدة كان يحسدهما عليها كل من حولهما .. وفى ظلال الاخلاص والحب انجب منها ثلاث بنات هن أغلى وأحلى شىء فى هذه الحياة .. الى ان ارسلته الوزارة التى يعمل بها كمهندس فى بعثة لدراسة بعض النظم الجديدة فى مجال تخصصه .. فى احدى الدول الأوربية .. واضطر — رغم نفه — أن يفارق زوجته الحبيبة المخلصة وفاء ، وبناته الثلاث لمدة تسعة اشهر كاملة .. كان يعد الأيام .. حتى حان موعد العودة واللقاء .. وكان لقاءا حارا سالت فيه دموع الفرحة والشوق .. وتعانقت الأحضان الحانية المخلصة الصارخة بمشاعر الشوق الفياض والرغبات الزوجية المكبوتة .. ولكن .. وبعد عشرة أيام فقط من عودته .. وبينما كان ينعم بالحياة الدافئة وسط اسرته الصغيرة التى أضناه بعده عنها لمدة تسعة أشهر افزعه تكرار شكوى زوجته وفاء من آلام فى بطنها وميل جارف الى القىء المستمر .. ورغم أن بعض الاقارب والاصدقاء قد هونوا من الامر زاعمين من خلال خبرتهم الشخصية بأن تلك الاعراض لا تعد أن تكون أعراض رطوبة فى المعدة .. وبالطبع تطوعوا لوصف العلاج الناجح .. الا أن احمد لم يستمع اليهم .. اصطحب زوجته وفاء — والانزعاج يغلف كل ملامحه وحركاته — الى الطبيب .. وكم ذهل أحمد حينما فاجأه الطبيب بأن تلك هى آلام الحمل .. لحظتها أراد ان يعترض على رأى الطبيب موضحا له انه كان فى بعثة بالخارج ولم يأت الا من حوالى عشرة أيام فقط .. وان مثل

هذه الأعراض الخاصة بالحمل كما هو معروف للجميع لا تكون الا فى الشهر الثانى أو الثالث .. وكما حدث عندما كانت وفاء حاملا فى بناته الثلاث .. ولكنه لم ينطق بشىء من ذلك .. خشى أن يفهم الطبيب ، أو تفهم زوجته بأن هذا الاعتراض هو بمثابة طعن فى عفة زوجته وشرفها .. فاضطر أن يبتلع كلام الطبيب بصعوبة وكأنه يبتلع قطعة من النحاس الصدىء .. أثقلت معدته وأشعرته هو الآخر بالغيثان .. وعلى الفور استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وبصق فى وجه ذلك الهاجس الخبيث الذى أسر اليه بأن « الذى سيحسم الأمر هو مدة حمل الطفل .. وميلاده » .. ولكأن الهاجس الخبيث كان يعلم أن الميلاد سيتم بعد ثمانية أشهر .. فلقد ولد لهم طفل جميل .. كان هو أمل أمه وأبيه .. ووسط الفرحة والهناء الذى شمل جميع الأهل والأقارب .. لانه الولد الذى أهداه الله لهم بعد ثلاث بنات .. انقض عليه الهاجس الخبيث نفسه بسؤال غير برىء » ألم تقرأ ذات مرة .. أن الطفل لا يولد سليما الا بعد مدة حمل تسعة أشهر كاملة .. أو حتى سبعة أشهر .. ولكن .. بعد ثمانية أشهر من الحمل .. لا يتم الميلاد »

ولم يشأ أحمد أن يحرم نفسه من الفرحة والسعادة بمجيىء الطفل لمجرد خاطر شيطانى شرير .. وفى الحال أشاح فى وجهه .. واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم .. وأطلق كل أحاسيس الارتياح والسعادة من عقالها لكى تمرح كيفما تشاء عبر دهاليز قلبه .. وامعانا فى تحديه لتلك الخواطر السيئة التى طفقت تساوره .. أظهر سعادة عظيمة بمقدم الطفل الذى أسماه « سميرا » .. فأصر

على أن يقيم احتفالا كبيرا بمناسبة مرور سبعة أيام على مولده .. ودعا اليه كل الأهل والأصدقاء .. وملئت « الفيلا » واشجارها بالانوار الملونة المتراقصة .. وكانت سهرة رائعة .. امتدت بهم حتى مطلع صباح اليوم التالى ..

وبعد أسابيع من ميلاد « سمير » .. بدأت ملامح وجهه تبرز وتتضح .. وكان مما يزيد حيرة أحمد وقلقه .. هذا الاصرار الدائم من زوجته وفاء بأن « سميرا » يشبهه تماما .. ولم يكن لدى أحمد ما يرد به عليها .. كان يلجأ الى الصمت .. وابتسامة بلهاء يحتمى بها وهو مندهش لكلامها واصرارها هذا .. لأنه لا يوجد أى وجه للشبه يجمع بينه وبين سمير .. وهى نفسها تعلم ذلك .. وكذلك كل من حولهم لاحظوا ذلك وقالوا به .. فسمير ابيض البشرة ناصع البياض .. شعره أصفر ناعم .. بينما أحمد أسمر البشرة وشعره أكرت .. والذى فضح هذا الاختلاف فى الشبه اكثر من غيره هو لون عينيه الذى بدا واضحا للجميع أنهما زرقاوان .. بينما عيناه سوداوان .. ولذا لم يعد يحتمل أحمد من وفاء تكرار مثل هذا الزعم .. فانفجر فيها ذات مرة صارخا مستنكرا .. كأنه ينفى عن نفسه بقوة اعتقادها ببلاهته : أى شبه بينى وبينه ؟!!

وهاله أنها ردت عليه دهشة مستغربة كأنه قال شيئا غريبا : ألا ترى أنفه المعقوف ؟ .. انه يشبه انفك .. الا ترى فمه الصغير المزموم ؟!! .. انه يشبه فمك تماما يا حمد .

وفى الليلة الماضية حلم ان زوجته وفاء تحتضن وتقبل سعيدا الكواء .. هب من نومه ملسوعا مذعورا .. نظر حوله بصعوبة فزعا مأخوذا .. فاذا بزوجته تغط فى نوم عميق بجواره .. مد يده حيث تبين له كوب الماء .. ارتشف جرعة منه يرطب بها حلقه الذى جف .. ويهدى من أنفاسه المختنقة المتلاحقة .. واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم .. لكنه لم يستطع أن يكمل نومه .. او حتى يغمض جفنا واحدا لعينيه مرة ثانية ليلتها .. ولكن شرد بخياله الى سعيد الكواء .. لقد كان طفلا صغيرا .. فى التاسعة من عمره منذ عشر سنوات .. وكان يعمل كصبى للكواء المواجه (للفيلا) .. وكان يحضر اليهم الملابس بعد كيها .. أيامها كانت زوجته وفاء لم تزل عروسا ترفل فى ملابس العرس الجديدة الزاهية سعيدة منتشية .. كانت تستوقف سعيدا كلما أتى .. تتأمل ملامحه .. تغوص فى عينيه الزرقاوين الواسعتين .. وتمد أناملها متحسسة لشعر رأسه الأصفر الناعم مما كان يشعر سعيد معه بالخجل الطفولى فيتلوى ويتملص منها منسحبا وقد احمر وجهه .. فتتنهد فى حسرة وأسى قائلة : والله خسارة على هذا الصبى أن يعمل كواء .. كان الأجدر بأهله أن يكملوا له تعليمه حتى الجامعة .. اتمنى أن يكون لى طفل فى مثل ملامحه ووسامته سأرعاه .. واهتم به حتى يكمل تعليمه ويصير طبيبا مشهورا .. او مهندسا ناجحا مثلك يا أحمد ..

وكان يومها يبتسم احمد لها مباركا لتلك الأحلام والآمال .. داعيا لها الله ان يحقق كل احلامها وأمانيها .

لكن .. الآن .. صار سعيد شابا يافعا فى التاسعة عشر .. مزهوا بقوته ووسامته .. دائم التشمير عن ساعديه ليبرز للجميع عضلاته المفتولة المكورة .. وكأنه يود أن يعلن أن صاحب تلك العضلات يمارس لعبة كمال الأجسام فى نادى المدينة الرياضى .. حتى وهو يمارس عمله فى كى الملابس .. يحاول أن يقف بطريقة معينة تجعل تقسيمات جسده بارزة ، وصدره نافرا بعد أن فتح زرين فى أعلى قميصه الاحمر ليطل منه شعر كثيف أصفر امعانا منه فى التشهير بفحولته .

وأحس أحمد بدبيب الغيرة يقترب من أذنيه ورأسه .. ولكن هز رأسه على الفور لائما نفسه وموبخا اياها : حتى من الولد سعيد الكواء ساغير ؟!!

وقبل أن يصفق الباب نهائيا فى وجه تلك الهواجس الملعونة لم يدر لماذا طفا اليه من أعماق ذاكرته ما حدث ذات يوم .. منذ سنوات .. وقبل أن يسافر الى البعثة .. عندما أتت وفاء ممسكة بصحيفة يومية .. كانت تشير باصبعها الى عنوان محدد لمقال طلبت منه أن يقرأه .. وقرأه .. كان مقالا علميا لاحد الاطباء يدعى أن الذى يتحكم فى انجاب الذكور أو الاناث ليست المرأة كما هو شائع بين الناس .. بل هو الرجل .. ولمح يومها فى عينيها بعضا من نظرات العتاب والاتهام بالعجز والتقصير عن مساعدتها فى انجاب ولد .. وانه هو السبب فى انجابها لثلاث بنات .. وربما رابعة أو خامسة .. واشاح بسخرية يومها فى وجه المقال ومؤلفه

وأكد لها ان الذى يتحكم فى نوع المولود ليس هو الرجل .. وليست المرأة .. الله وحده .. هو الذى يهب لمن يشاء ذكورا أو اناثا .. ولكنها بدا عليها عدم الاقتنــاع و ...

وهنا توقف أحمد للحظات عن استرساله فى تفكيره .. أوشك أن يطلق صرخة شرسة ملتاعة كانت يمكنها أن توقظ وفاء زوجته من رقادها الهادىء .. وذلك عندما حدثته نفسه بأن « وفاء .. ربما فكــرت لحظتها فى الالتجاء الى رجــل اخــر .. لتنجب منــه طفــلا ذكرا » .

وهمس لنفسه معنفا بأن ذلك مستحيل و .. و ..

ومرة ثانية عم السكون كل أجزاء جسده .. صار كتمثال حجرى مذعور .. توهج تفكيره مرة واحدة .. كوميض البرق .. صــعق عندما ادرك لاول مرة أن .. صورة ابنه سمير هى نفسها صـــورة سعيد الكواء .. انه يشبهه تماما .. العيون الزرقاء .. الشــعر الاصفر .. البشرة البيضاء .. كاد يغمى عليــه وهو يهمس الى نفسه واحساس بالعار يخنقه : كيف لم أفطن الى ذلك من قبل ..

تقلصت أصابعه .. أمتدت دونما وعى منه الى رقبة زوجته النائمة فى هدوء .. سيطرت عليه رغبة عارمة للانتقام لشرفه الذى لوثته مع سعيد الكواء فى أثناء غيابه عنها فى البعثة .. لكنه بذل مجهودا كبيرا لمقاومة تلك الرغبة .. حاول أن يهدىء من ثورته تلك مقتنعا نفسه بأن ذلك كله مجرد حلم من صنع الشيطان .. فقط

ظنون سيئة .. ولكى يتمكن من الانتصار على تلك الرغبة هب ناهضا من جوار زوجته .. قصد الحمام حتى يكون وحيدا ..

وفى اليوم التالى لذلك الحلم .. كانت تجلس قبالته .. بينما كان فحيح الشك يتصاعد .. يتضخم .. حتى ملأ كل رأسه وصدره وفاض على لسانه ـ فلم يستطع أن يمنع نفسه من سؤال غير مباشر لها : أيوجد فى أسرتكم أى حد عيناه زرقاوان ؟

وكأنها فهمت مغزى السؤال وخاصة أن وجهه المتقع كان يطفح بأحاسيس كثيرة أوضحها الشك .. فأجابت على الفور وبطلاقة كما لو كانت تتوقع أن يطرح عليها هذا السؤال من قبل .. وابتسامة ثقة تغطى شفتيها الضئيلتين : لا .. لا يوجد فى أسرتنا عيون زرقاء .. ولكن سمير ولد هكذا لأننى فى أثناء حملى كنت اتوحم على عروسة يابانية (بلاستيك) جميلة عيناها زرقاوان .. وشعرها أصفر ناعم .. والحمد لله .. جاء سمير مثلها تماما .

وبالطبع لم يقتنع أحمد بهذا الهراء .. اعتراه أحساس قوى بأنها تفهمكل شىء وتعد لكل شىء بذكاء وخبث .. هب واقفا بعد أن شعر بهزيمته فى محاولته لاستدراجها لمعرفة الحقيقة .. خطا بضع خطوات ثقيلة .. بدا كأنه يترنح .. وجد نفسه فى مواجهة النافذة .. استند اليها بكفيه .. ثم ألقى بصدره على حافتها كأنه لم يعد قادرا على الوقوف منتصبا .. أطل على الطريق .. الناس .. السيارات .. الكل يهرول .. لفت انتباهه يد تلوح له بالتحية فى الناحية المقابلة من الطريق .. دقق النظر .. لم تكن

تلك اليد غير يد سعيد الكواء .. كان يلوح بيده اليسرى بينما يـده اليمنى تواصل بخفة واتقان ممارسة عملها .

لف احمد احساس بالعار وهو يهمس لنفسه كأنه جريح .. من هذه النافذة كانا يتبادلان الاشارات والوعود فى غيابى .. ولم يتركه الهاجس بل أكمل له : « وربما فى وجـودك » .. فلم يرد عليه التحية وانسحب داخلا مقهورا ومحملا بتلال من الهم والتمزق فكر فى الذهاب الى غرفته يلقى بنفسه على السرير ويلعـق جراح عاره وخزيه بعيدا عن الناس .. وما أن دلف الى الحجرة حتى واتته فكرة تريحه من هذا العناء والتمزق .. وفى الحال قرر تنفيذها .. ارتدى ملابسه للخروج .. انطلق خارجا من « الفيـلا » .. عبر الطريق الفاصل بينه وبين سعيد الكواء .. وضع ابتسامة محتالة على شفتيه وهو يسأل سـعيدا اذا ما كان قد أنهى كى الملابس التى ارسلوها له أمس ؟

ابتسم سعيد وهو يقول : خلال نصف ساعة ستكون جاهزة وسترسل الى « الفيـلا » .

وبدون مقدمات .. دهمه احمد بسـؤال استفزازى : هل استخرجت هوية يا سعيد .. أم أنك لم تزل صغيرا بعد ؟!!

دهش سعيد لهذه النبرة التى لم يسبق للمهندس احمـد ان خاطبه بها .. ولكنه على أى حال رد عليه بشموخ المراهقين : لقد استخرجتها منذ عامين ..

وبسرعة تسللت أصابعه الى جيب قميصه مخرجا لها ومد يده فى تحد واستعلاء .. بيد مضطربة انتزعها أحمد منه .. فتحها راح يحملق فيها .. ركز ببصره فى أسفلها على نوع فصيلة دمه أدرك أنها مختلفة عن فصيلته هو .. ولم يهتم أحمد بتلك النظرة المتحدية التى قذفه بها سعيد .. بل عاد توا الى الفيلا .. انتزع « سميرا » الذى كان يلعب مع أخواته البنات الفرحات فى حديقة الفيلا حيث الأرجوحة .. حمله بعيدا عنهن زاعما أنه سينزهه بالسيارة لبعض الوقت .. وليشترى لهن جميعا (شيكولاتة) .

وها هو ينطلق به بعيدا عن المدينة التى يقيم فيها ويعرفه معظم الساكنين بها .. حيث عقد العزم على التوجه الى المدينة المجاورة .. هناك حيث لا يعرفه أحد .. ولن يتهامس بفضيحته احد .. يوجد معمل لتحليل الدم .. هو الذى سينهى الامر نهائيا والى الابد .. اما ان يكون « سمير ابنه » .. أو يطلق وفاء ودون ابداء اى سبب .. ودونما فضيحة .. حفاظا على سمعة بناته الثلاث .. اذا ما ثبت أن فصيلة دم سمير هى فصيلة دم سعيد الكواء ..

ولفرط القلق الذى يجتاح كل كيانه .. أحس أن المدينة المجاورة قد بعدت كثيرا عن مكانها .. فزاد من ضغط قدمه على دواسة البترول .. وشرع عداد السرعة يثب بخفة ورشاقة فوق التدريج متجاوزا المائة .. وفجأة .. هزه صوت انفجار .. قبل أن يستوعب ما حدث .. كان مقود السيارة قد اختل تماما بين

أصابعه المرتجفة .. انحرفت السيارة بحدة جهــة اليمين . .ثم بحدة جهة اليسار عندما حول السيطرة عليها .. فى ثانية صار قشة فى مهب العاصفة .. ضغط تلقائيا على الكوابح .. اهتزت المرئيات والموجودات من حوله .. سمع – كأنه يحلم — صوت زجاج يتحطم .. وضجيجا يتعالى .. ثم .. سكن كل شىء من حوله مرة واحــدة ..

عندما أفاق أحمد .. وجد نفسه فى المستشفى .. كانت تقف بجواره ممرضة .. سأل بصوت ضعيف واهن : أين أنا ؟ .. مــاذا جــرى ؟

همست له بصوت رقيق يشع بالطمأنينة : الحمد لله على سلامتك .. اهدأ .. لقد كان حادث سيارة .. من حسن الحظ ان الاطار الخلفى هو الذى انفجر .. اصابتك بسيطة ..

انتبه أحمد .. تذكر .. هتف مذعورا : الطفل .. سمير ؟

نصحته بهدوء : الانفعال يضر بك وانت فى هذه الحالة ..

وكأنه لم يستمع الى شىء مما قالت .. فصرخ مرة ثانية : سمير ؟ ابنى ؟!!

أجابته مطمئنة : فى حجرة العمليات .. الأطباء من حوله .. لقد نزف كثيرا .. وهم يحاولون انقاذه .. ادع له ..

تمــت



« حقيبـــة المنشـــورات * »

راحت تواصل سيرها فى حذر .. اخذت تفكر أكثر من مـــرة قبل ان تخطو خطوة واحـــدة .. هتفت فى بئر أعمـــاقها خائفة ساخطة « انه لم يزل يطاردنى .. الجبان .. الخائن .. » .. زاد تقلص أصابعها .. تشبثت بعنف بالحقيبة المدرســـية التى تحملها .. ليس بداخلها كتب مدرسية فقط .. بداخلها ايضـــا منشورات سرية ضد سلطات الاحتلال .. تحض على الاضراب والتظاهر .. انها أولى تجاربها العملية التى بها ستثبت للمنظمة انها جديرة بثقتها ..

بلمحة خاطفة أدركت انـــه لم يزل يترصـــد خطواتهـــا .. اسرعت الخطى .. كـــادت تتعـــثر .. أنفاســـها الملتهبـــة تتصاعد من رئتيها بتفجر وغيظ مكتومين .. الاضطراب والخوف يخنقان تفكيرها .. لكنها هتفت لنفسها بعزم مستميت « لا يمكن ان يقبض على .. لابد ان أنجح .. انها المهمة الأولى التى ستثبت للمنظمة جدارتى بشرف الانضمام اليها .. لابد أن أصل بسلام الى المدرسة واوزع المنشورات قبل أن يكتشفها أحد .. لماذا يسير ورائى كظلى .. أليست بلده مثلى !! .. لمـــاذا يود القبض على

* نشرت بجريدة الخليج (الخليج الثقافى) نوفمبر ١٩٨٧

ليسلمنى لأعدائى وأعدائه ؟!! .. ان كل وطن به خونة من ابنائه ولكن .. لماذا يظهر هذا الحقير فى مهمتى الأولى .. على أية حال لابد ان اثبت جدارتى للانضمام للمنظمة .. مهما كلفنى هذا .. حتى ولو كلفنى بقية عمرى وحياتى ..)

ابتلعت لعابها بصعوبة شديدة وحاولت أن تهدىء من أنفاسها وتجفف عرقها عندما رأت أمامها زحاما .. اندفعت اليه .. تخللته توارت بين الناس .. انزلقت خارجة من الجانب الآخر .. صدرها يعلو ويهبط بأنفاسها اللاهثة .. تساءلت مذعورة :(هل أفلت منه ؟) .. باستدارة سريعة من رأسها لم تجده خلفها .. اختفى تماما .. رأت فى مواجهتها سيارة أجرة واقفة .. مدت يدها .. فتحت بابها .. ألقت بنفسها داخلها ..

سألها السائق فى امتعاض وتكاسل : الى أين ؟

همست لنفسها :(من الأفضل عدم الذهاب الى المدرسة مباشرة .. كذلك لا يمكن العودة الى البيت بالمنشورات مرة أخرى يجب أن أنفذ المهمة ..) .

أعاد السائق السؤال فى ضيق وضجر : الى أين يا آنسة ؟

ترددت ثم ذكرت له اسم شارع قبل المدرسة بمسافة قصيرة .. انطلقت السيارة بها .. أحست بدبيب الطمأنينة والهدوء بدأ يتسلل الى أعصابها كلما ابتعدت بها السيارة عن الخائن وخاصة عندما تابعت النظر خلفها أكثر من مرة ولكنها لم تعد ترى له من أثر فأسبلت عينيها حامدة الله الذى نجاها من الخائن .

توقفت السيارة .. سأل السائق : هنا يا آنسة ؟

أفاقت من شرودها .. فتحت باب السيارة فى عجلة وهى تقول له شاكرة : نعم هنـــا .

تلفتت مرة أخيرة .. فرحت لأنها نجت أخيرا من الخـــائن الذى يترصـــد خطـــاها وضللته .. ارادت أن تعـــدو مسرعة الى المدرسة حتى تتمكن من توزيع المنشورات وتثبت للمنظمة جدارتها ومع الخطوة الأولى اعترضها السائق منبها : لم آخذ الاجرة بعد يا آنســـة !!

وتحسست جيبها .. ليس معها اية نقود !! .. لقد نسيت كيس نقودها بالبيت !! .. تفجر عرقها .. توردت وجنتاها خجلا وتلعثمت بعد أن لجمها الارتبـــاك للحظات : لقـــد نسيت كيس النقود .. هل تأتى معى الى المنزل ؟ قالت ذلك وهى ترجوه من أعمـــاقها ألا يوافق .

هزه رأسه بسخرية أكثر منها عطفا : لا عليك .. المسافة التى قطعتها السيارة ليست بالمســـافة الطويلة .. فقـــط أعطنى اسمك ورقم الهوية .. واذا عثرت على بالموقف أعطنى الأجـــرة وخذى رقم الســـيارة معـــك .

انفجر داخلها بكل الخوف والفزع مرة واحدة (كالديناميت) انه أكثر لعنـــة من ذلك الخائن الذى كان يطاردها .. انه يطلب المستحيل .. يريد كل شىء عنها .. ربما يكون هو الآخر عميلا للمحتلين .. لقد حذرها عضو المنظمة الذى تتعامل معه بألا تثق فى أحد لا تعرفه .

عاود السـائق صراخه فى وجهها الواجم المشـع بالخـزى والخوف .. ظل الصمت مسيطرا عليها .. لا تعرف بماذا ترد .. تجمع الناس .. جاء الفضوليون من كل مكان بالطريق واحدا اثر الآخر .. اصبحت وسط حلقات من البشر .. جميعهم يسأل عن السبب .. السائق يرفع عقيرته شاكيا للناس .. فوجئت بالخائن يتسال بين الزحام مقتربا منها .. غامت الدنيـا فى عينيهـا .. ترنحت .. اوشكت ان تقع على الأرض .. تشبثت بالحقيبة وزاد احتضانها لها .. الخائن يقف بجوارها يتابعها بعينيه .. يرمق الحقيبة .. تمسكت بالقية الباقية من انتباهها .. همست لنفسها باصرار اشد ((لا يهم .. لابد أن أواجه هذا السائق الوقح .. ثم اتخلص من هذا الخائن) شدت من قامتها ارادت أن تنطق فى كبرياء لكن السائق سبقها صارخا من جديد : اعطنى الأجرة او اسمك .. هل أنا مخطىء يا ناس ؟

ارتجف فيها كل كيانها عندما رات الخائن يدنو منها اكثر

لكنه لم يكلمها هى .. انتحى بالسائق للحظات همس له ببعض الكلمات .. أخرج من جيبه رزمة نقود .. نفح السائق بعضـا منها .. تلقفها منه السائق مبتسما ممتنا .. ركب سيارته وانطلق بها .. تفرق الناس .. أصابها جمود ثلجى شل خطواتها .. ثبتت فى مكانها عندما رات الخائن يتقدم منها .. قبل أن تتمكن من التفكير فى الرجوع الى الخلف خطوة .. همس لها مؤنبا : كان عليك أن تستعدى لمثل هذه المواقف الطارئة بالاحتياط الواجب .. ثم أضـاف مطمئنا لها : اهدئى .. ليست معك منشـورات .. انها مجرد أوراق بيضـاء ..

تمت

الفهـــرس

	رقم الصفحة
★ البعض يفعــل هــذا	٣
★ رحلة ابن بطوطة الأخيرة من مصر الى الفجيرة	٧
★ شــرف أخــتى	١٧
★ ضائعة فى ســوق الرولة	٢١
★ أخــلاق العصـــــافير	٣٧
★ زوجـــة صــديقى	٤١
★ الوحش أصلة ابو ذنيبة	٤٧
★ المــرأة التى فقــدت وجهها	٥٥
★ رسالة من زميلى بمدرسة بحر البقر	٦٩
★ رحــلة فى ســيارة ماشــية	٧٧
★ هواجــس خبيثـــة	٨٣
★ حقيبـــة المنشـــورات	٩٥

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٥٥٧٤

مطبعة العاصمة ــ القاهرة ت ٣٥٥٣٦٨٠